

مجلة المجمع العلمي العربي

شعبان ورمضان سنة ١٣٦١

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٢

(١) في سبيل العربية

من أعظم نعم المدنية الحديثة هذه الآلة التي اطلقنا عليها اسم المذياع ، واطلق عليها العالم اسم الراديو . فقد اصبحنا بعد ان نظام امرها نلجأ اليها في كل ما حزن بنا من هم ، ونخذ منها اداة دعابة في معظم الشؤون البشرية ، ولا يمضي زمن قليل بعد الحرب الحاضرة حتى يصبح المذياع مدرسة مجهزة بأحسن جهاز ، ينلق منها المستمعات والمستمعون دروس العلم والتهذيب كاملة ، كأنتهم في حضرة مدرسة ذات طبقات ثلاث في التعليم يأخذ طالب الاستفادة في كل طبقة ما شاء له غرامه على ايسر حال . ولا شك ان من نعم المذياع على اللغة ان يوحد في المستقبل لهجات البلاد العربية وبقربها من النصحي ، كما كان لانتشار الصحف ونشر التعليم الابتدائي أثر عظيم في تهذيب لغة التخاطب والتكاتب بهذه اللغة المحبوبة .

ومن اجل هذا عمدت الى المذياع احمله جواب امئلة ثلاثة ، وجهت الي كما وجهت الى غيري ، وقد قصد بها سائلها وهو صاحب مجلة (الحديث) الحلبية خدمة الافكار الصحيحة ونشرها على الملأ ، قال وله الشكر على اقتراحه المفيد : ماهي الكتب التي قرأتموها قراءة كاملة وأفادتكم في ثقافتكم الادبية ؟ وهل تنصحون الأديب الناشئ ان يقرأ الكتب القديمة اولاً ثم الكتب الحديثة ام بالعكس ؟ وما هو الكتاب العربي الوحيد الذي تنصحون الناشئين بتلاوته وباعادة تلاوته أكثر من مرة . وأنا اقول في جوابه ، وأرجو أن اكون اصبت شاكلة الصواب فيه ،

(١) حديث التي في محطة الاذاعة بدمشق .

ومعظمه مما املته التجارب الشخصية ، وللبحث اخص اثر بالغ في نفس السامع ، وهل كان العلم قبل ان يقيد في الصحف والاسفار الا تحليلاً وتركيباً قام به أفراد ، فلما دونت تلقفه الجماعات وصار يطلق عليه اسم العلم .

أقول من الصعب ان اضع احصاء مدققاً في الكتب العربية التي اتممت قراءتها كلها او قرأتها مرات ، وربما كانت الكتب التي قرأتها بالفرنسية والتركية قد وسعت أفق تفكيري ، وافادتني في الثقافة العربية نفسها فعلمتني سداجة التعبير . قرأت القرآن الكريم على وجوه كثيرة فكنت تارة أتدبره لأرى ما فيه من بلاغة اللفظ والتركيب وجلال المعنى والمبنى ، وطوراً كنت أرتله لأأخذ منه الأحكام بهذا الإيجاز وهذا الإعجاز ، وآونة كنت أتصفحه لأدون ما فيه من مواعظ وزواجر ، وحيناً كنت اطالعها لاتفهم قصص الأنبياء والاحداث التاريخية التي سبقت الاسلام ، ومرة أطيل النظر فيه لارى كيف حجاجه للشر كين والمنافقين ؛ وأنظر في براهينه الدامغة على صدق صاحب الدعوة ويسر دينه ، وحرصه على توحيد الخالق وتوحيد صفوف الخلائق ، ومرة اقلبه لأرى فيه الالفاظ السريانية والنبطية والعبرانية والحبشية والقبطية من اخوات العربية ، وأقع على المفردات اليونانية والفارسية وغيرها من اللغات الآرية مما اندمج في العربية كما اندجت في لغة قريش بواسطة القرآن بعض مفردات خاصة بالقبائل كهذيل وأزد وشؤة وعمان وتميم وكندة وكنانة وطى وجرم وحمير وحضرموت وبني حنيفة ونلم وغسان وتقيف وقيس عيلان ومدائن ومذحج وسعد العشيرة ووجدام والأشعريين واليمن وسبأ وعذرة وأنار وهمدان والأوس والخزرج . وكما قرأته على الوجه الذي اختاره أطيل التفكير في اسلوبه الرائع وفي اسلوب الفصحاء والبلغاء بعده ، وفي طراز عصره في الاداء وبما كان يستعمل فيه من الفاظ عند من انزل اليهم ولا نكاد نفهمه نحن ابناء هذه اللغة التي نتعلمها بالجهد في الدرس والحفظ .

وجملة الأمر فقد تديرت القرآن كثيراً ولا ازال كل سنة اغتبط بقراءته دفعة واحدة على الأقل ، واستمع لبعض آياته دفعة او دفعتين في اليوم بلسان المذبح المفيد ؛ عدا سماعي له في الصلوات . فتظهر لي كل نوبة دقائق ما خطرت ببالي

آتقاً ، وتنكشف لي حقائق مطربة عجيبة ، ولا عجب فالقرآن كما قالوا لا تفتي عجائبه .
 ولا اكنتمكم ياسيداتي وباساداتي ان حسرة في قلبي لا أبرح أحسها وهي
 أني لم أوفق الى استظهار الكتاب العزيز برمه أول حياتي ، وندمت ان شغلت
 نفسي بمحفوظات من الأدب شوهت ملكتي لأول نشأتي . واني لا اعتقد ان المصريين
 ما تفوقوا ببلاغتهم على سائر الشعوب العربية إلا لأن أكثر الخاصة يحفظون القرآن ،
 وناهيك بأمة يستظهر قبطها هذا الكتاب الكريم كفعل أسرتي عبيد ودؤوس
 المحترمتين وغيرهما من غير المسلمين ، يحفظه ابناؤهم التماساً لبلاغته ، واسترشاداً بأحكامه .
 وما كان بعض ادباء لبنان وعلماؤها في اواخر المئة الثالثة عشرة واولائل المئة الرابعة
 عشرة على عرقٍ من الفصاحة والبلاغة في ألسنتهم وأقلامهم الا لأنهم حفظوا
 القرآن واستشهدوا به في خطبهم ومقالاتهم . ولعله لا يقل من يستمعون الى القرآن
 في المدياع كل يوم من غير المسلمين عن مواطنهم العرب من المسلمين ، يعجبون
 بنغمته وموسيقاه وببلاغته ورنته وبما يحدث من تأثير في نفس سامعه ، مها كانت
 نخلته ، ويتذوقه في الأكثر من درس اللغة العربية سنين قليلة في المدرسة .
 حفظت في صباي طائفة من المعلقات السبع وجانباً كبيراً من ديوان المتنبي .
 وحفظت اشياء من الشعر الذي كنت افهمه للمحدثين كديوان الطغرأي ، وكان
 معظم النثر الذي حفظته او تلوته لا يخلو من تكلف ، وافادني في نلقف مفردات اللغة
 كبعض مقامات الحريري ورسائل بديع الزمان الهمذاني ومقاماته ورسائل ابي بكر
 الخوارزمي ورسائل الصابي ومقامات الزمخشري ومقامات الاصفهاني وكتابي العتيبي
 وابن الأثير صاحب المثل السائر ، وما انجاني من عسلطات هذا النثر المتكلف الا
 تعلقي بكتب الجاحظ بعد حين ، فكنت اقرأ ما يقع في يدي من رسائله وكتبه .
 وما فتئت في كل عام أعاود قراءة معظمه ، كما انظر في ابن المقفع وعبد الحميد
 الكاتب واحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية المصري واحمد بن يوسف
 الكاتب العراقي وسهل بن هرون ومحمد بن عبد الملك الزيات وابي حيان التوحيدي
 والصولي والتنوخي وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون . وقد قرأت مقدمة ابن
 خلدون كثيراً وهي من الكتب التي احب كل حين معاودة قراءتها كالصحيحين

البخاري ومسلم ، ونهج البلاغة المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكتاب الخراج لابي يوسف والأموال لابي عبيد القاسم بن سلام والكامل للمبرد والأماشي للقالبي ، وكتب ابن قتيبة والماوردي والراغب الاصفهاني والغزالي وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن حزم والطبري والمسعودي والدينوري ومسكويه وابن عبد ربه وابن حبان والمزرباني وقدامة والباقلاني والاشعري ويحيى بن عدي وابن هندو وعلي بن عبد العزيز وغيرهم من ارباب الانشاء الشائق .

وانصح للشداة المبتدئين أن يقرأوا من شعر القدماء والمحدثين حماسة ابي تمام وحماسة الجعفري ومختارات البارودي ، ولا بد ان يخصص بالدرس خمسة من دواوين للقدماء كديوان عمر بن ابي ربيعة والبحترية والمتنبي والشريف الرضي وغيرهم وخمسة من دواوين المعاصرين كالبارودي وصبري وشوقي وحافظ والرصافي وغيرهم ، ويكرر في قلبه وعلى سمعه بعض ما بقي من تراث كبار المنشئين (راجع كتابي امراء البيان وكتابي رسائل البلغاء) وعلى الناشئ ان يختار الجيد الذي سلس كتابته واستقامت موازين افكاره ، وخلص من التكلف ومهاجة التعقيد ، وحوشي الالفاظ من الكتاب والمؤلفين ، ومن اهم ما عليه تصفحه من كتابات المحدثين كتابات من جمعوا الى سلامة التفكير سلامة التعبير .

ولا يجب ان يفوت المتعلم التأدب بأدب من تقلوا من اللغات الاعجمية ورزقوا حظاً من البيان من المجودين في النقل لامتلاكهم ناصية اللغتين المنقول منها والمنقول اليها وهم تراث بتلقفه طالب المدينة العربية تلاوة كتب علماء الجغرافيا من العرب وهي التي نشرها علماء المشرقيات كما نشرها كثيراً من كتب التراجم والطبقات ومنها سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وطبقات الشعراء للجحفي والشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات القراء لابن الجزري والاشراف للبلاذري ووفيات الاعيان لابن خلكان وطبقات الحكماء للقفطي وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وطبقات الأدباء لياقوت والوافي بالوفيات للصفدي وتاريخ الوزراء للصابي وكتاب الكتاب والوزراء للجيشاري والأنسب للسمعاني وتهذيب الاسماء للنووي ومقالات الاسلاميين للأشعري . ومما طبعناه نحن العرب الأغاني للاصفهاني والأماشي للقالبي والبيان

والتيبين للجاحظ وبتيمة الدهر للثعالي والموشح للرزباني ونقد الشعر لقدماء وتقدي
النثر المنسوب اليه أيضاً ومعاني الشعر للأشناداني وأخبار غرناطة للسان الدين
والذخيرة لابن بسام وصبح الأعشى للقلقشندي ونهاية الأرب للتويري وعيون
الأخبار لابن قتيبة وزهر الآداب وذيله للحصري والصناعتين للعسكري ودلائل
الاعجاز لعبد القاهر وقلائد العقيان وذيله للفتح بن خاقان وأمالي السيد المرتضى وأمالي
الزجاج والعمدة لابن رشيق والمضاف والمنسوب للثعالي والمزهر للسيوطي والوساطة
بين المتنبى وخصومه لعلي بن عبد العزيز الى غير ذلك من الممتع المفيد .

هذا بعض ما ساعدني الحظ بمطالعتة من امهات كتب الادب واللغة والشعر ، وهناك
كتب في الدرجة الثالثة او رسائل في موضوع خاص طالعتها ايضاً واستفدت منها
ما وسعتني الاستفادة ، والطالب يقع عليها اثناء الدراسة فيتصفحها كما يتصفح المجالات
والجرائد ، ويقيد ما يروقه منها في كراريس وجزازات ليأخذ منها حين الحاجة .
وأهم ما يتعين على من يريد التبريز في الكتابة ان يقرأ أكثر مما يكتب ويقرأ بترتيل
وان يتتبع عن تناول الكتابات الجديدة التي خلت من مسحة البيان فانها تفسد الملكة
وتتضي على البلاغة ، ويجب ان يكتر من الخوض في الموضوعات المختلفة منذ بداية
امره ، فلا يغفل عن معالجة الكتابة في الرسائل الخاصة والمقالات العامة والخطب
والمحاضرات . وعليه ان يقرأ ما يكتب على من يلاحظ انه عارف بهذا الفن ويقبل
ملاحظاته ان كانت سديدة . وبعرض كلامه على العارفين تظهر له أمور ما كانت
تمر في خاطره ، ولا يبادر الى النشر حالا ولا يتنطع فيتأخر عن النشر كثيراً توهمه
نفسه ان الاتقان يكون مع الزمن وان من التهور بالمبادرة الى عرض بنات افكاره على الجمهور
حال كتابتها . فالأولى ان يأخذ حالة بين بين لا يقدم متهوراً ولا يتأخر جبناً .
ربما يقول بعض المتحذلقين وعلى هذا فاللغة العربية صعبة جداً يفنى العمر ولا
يحسنها الطالب المستفيد وهذا كلام كثيراً ما فاه به بعضهم على غير هدى . فاللغة
العربية ليست على خاطبها بأصعب من غيرها من اللغات ولكن كتب اللغات العلمية
الكبرى اليوم ان تبادر قبل العربية الى تقريب اصول تلقينها على الطلاب . وهذه
النعمة تسمعها في المدارس الأجنبية على الأكثر ، ولو صرف طالب العربية بضع

سنين كما يصرف الطالب سنين في نلقف احدى لغات اوربا لجااء منه رجل تام الأدوات في لغته يتذوق لغتها ولا يصعب عليه معالجة كل موضوعاتها ، ولكن القوم يريدون ان تكون لهم الاولية بدون درس مستديم سابق ، والبيان اليوم لا يوحى ايجاء بل بدرس درساً ويعالج معالجة ، ولا بد من اتخاذ عامة اسباب النجاح الى بلوغ الغاية فيه .

اشرت الى بعض ما يجب على طالب الأدب ان يأخذ نفسه به ، وارى قبل الاتيان على آخر الحديث ان استعين بما كتبه سيد البلغاء ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ثم ما نقله ابو حيان التوحيدي خليفته في طريقته في الانشاء الذي اعجب واظرب . فقد خوف الجاحظ طالب هذه الصناعة من التكلف والتعمل قال : والوجه الضار ان يحفظ الطالب الفاظاً بعينها من كتاب بعينه او من لفظ رجل ثم يود ان يعد لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون الا بجحلاً فقيراً او خائفاً مروعاً ، ولا يكون الا مستكراً لالفاظه متكلفاً لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع النظام ، فاذا مر كلامه بتناد الالفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله وبهرجوا علمه ، ثم اعلم ان الاستكراه في كل شيء سمج ، وحيث ما وقع فهو مذموم ، وهو في الظرف سمج وفي البلاغة اقبح . قال والذي تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهواً رهواً مع قلة لفظه وعدد حروف هجائه أحد أمراً وأحسن موقعاً من القلوب ، وانفع للمستمعين ، من كثير خرج بالكسد والعلاج .

ومما قال ايضاً : وليس في الأرض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ، ويعتبه الغلط في شعره وفي ولده ، الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط . فمنهم المفرق المغمور ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسن حاله ما لم يمتحن بالكشف ، ولذلك احتاج العاقل في استئمان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ، ومن اعادة النظر والتهمة ، الى اضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك .

وروى التوحيدي قال : وليس شيء انفع للنشئ من سوء الظن بنفسه ، والرجوع الى غيره وان كان دونه في الدرجة وليس في الدنيا مخلوق الا وهو محتاج الى

تنقيف ، والمستعين احسن من المستبد ، ومن تفرد لم يكمل ، ومن شاور لم ينقص ،
وقد يستعجم المعنى كما يستعجم اللفظ ، ويشرد اللفظ كما يبدُ المعنى ، وينثر النظم
كما ينتظم النثر ، وينحل المقدم كما يعقد المنحل .

وقال : أحسن الكلام مارق لفظه ولطف معناه . وتلاؤاً روتته ، وقامت صورته
بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم ، يطمع مشهوده بالسمع ، ويمتنع مقصوده على
الطبع ، حتى اذا رامه مريم حلق ، واذا حلق اسف ، اعني انه يبعد على المحاول
بعنف ، ويقرب من المتناول بلطف .

هذه هي الجهة الأدبية من الموضوع بقيت الجهة المادية وهي لنحصر في كيفية
الوصول الى هذه الكتب وهل تبتاع صبرة واحدة ام تشتري بالتدريج ، فالطريقة
التي سار عليها اهل البصر ان يقتني طالب العلم كتبه شيئاً فشيئاً لا يدخل خزائنه
بضعة كتب جديدة حتى يكون أتم قراءة ماسبق له اقتناؤه على ان من الكتب
التي اوردناها لا يتأتى لغير الموسع عليهم اقتباعه ، وهي في الاكثر من غرض الخزان
العامة . وكيف كانت الحال فاقتناء ان كتب فرض على كل انسان يحاول ان يعد في
البشر ، والناس في ديارنا زاهدون في هذه العادة اكثر من كل شيء ، فقد يقتني
صاحب اليسار أخس الأشياء ، ولا ترى في داره كتاباً ، وعرفت اناساً يعيشون
من معلوماتهم الحقوقية وما سبق لهم ان اشتروا شيئاً من الأسفار ، وليس عندهم
من الكتب إلا ما أهداه لهم بعض المؤلفين من كتبهم ولكنهم ما ظالعوها . ورأيت
أناساً درسوا في المدارس الثانوية ومنهم في العالية فما أهمتهم دراستهم وظلوا على
المعلومات التي تلقفوها في المدرسة ما زادوا عليها شيئاً في المطالعة ، فما هي الا بضع
سنين حتى اصبح حكمهم حكم العامة ضيق عقل وقلة معرفة . والعلم درة دونها كل
الدرر لاتصل اليها الا يد من انفق اجمل ساعات حياته في المطالعة والدرس ، ولا ينتهي دور
الدراسة الا بانتهاء الحياة . كالتجارب لا يزال المرء منها في ازدياد مادام نفسه يصعد ويهبط .

محمد كرد علي

(1) صلة الجاهلية بالعالم القديم

(1)

سادتي الامائل : السلام عليكم ، اما بعد فقد ابى المجمع العلمي الكرمي الأ
ان يحنزني الى القول ، ويخرج بي من سدفة العزلة ، فزلات على حكمه المطاع ، وارهفت
من غرب اليراع ، وبعد فن ذا الذي يدعوه العلم فيحجم ، ويهيب به الأدب فيحجم .
ايها السادة : لقد وقع اختياري على نبذة لي انشأتها عن « العصر الجاهلي وموقف
اهله من العالم القديم في السياسة والتجارة » ولقد توفرت على استقراء ذلك من امهات
الكتب الغربية ، وفي التبع المبتوثة بين تضاعيف المؤلفات العربية .

تعريف العصر الجاهلي

لا جرم ان للعرب صلتهم السياسية والاقتصادية بالام الغابرة ، وذلك ما اود ان
اجمله في هذه المحاضرة ، فالعرب امة عريقة في المجد والسؤدد ، ترجع في نسبتها الى
الدوحة السامية ، وكذلك اللسان العربي سواء اكان فحطانياً ام عادياً .
ويراد بالعصر الجاهلي ما كان عليه العرب قبل الإسلام من دأب وسيرة ، وقال
ابن خالويه انه اسم حدث في الإسلام للزمان الذي كان قبل البعثة ، وما تعدو تلك
الحقبة في التاريخ المتداول مئة وخمسين عاماً قبل الهجرة عند جمهرة الأدباء ، وان
ذلك ليكون صحيحاً لا غبار عليه اذا عيننا بأولئك العرب « اهل الحجاز ونجد » فقد
كانوا الى مدى غير بعيد عن الشعوب بمعزل ، لما في باديتهم من جذب ، وما في
طباغهم من عنجية ، ولم يرزقوا حظاً من الشهرة وتراخي الذكر الا بعد ان تحولت الى
ارضهم الطرق التجارية ، فحملتهم على الاتصال بالأأم الأخرى ، واغرتهم بعقد
الاسواق في عكاظ ومجنة وذي الحجاز ، فوق ما قبض لهم من طول صحبتهم للانباط
الذين كانوا قد انتشروا بينهم متفرقين على أثر هزيمتهم في سلع .

قدم العرب

ومن الخطأ المحض ان بعض الناس اذا ذكروا العرب في جاهليتهم ذهب بهم

(1) محاضرة ألقاها الشيخ فؤاد الخطيب في المجمع العلمي العربي بدمشق .

الظن الى الأمة قاطبة ، والى الامصار العربية بأسرها ، فخلطوا بينها وبين القبائل الضاربة في اودية « الحجاز ونجد » على ان سائر العرب في اصقاعهم الأخرى الخصبه وقبل تلك الفترة الجاهلية بقرون متطاولة ، كانوا لدات الفراعنة ، والبابليين ، والآشوريين ، والرومان ، وحسبي ان ارجع بكم الى ذكر « بني عاد » فانهم اقتحموا مملكة الكلدان القديمة وحكوها ما يقرب من قرنين (سنة ١٥٤٦ قبل الميلاد) وكذلك « المملكة الآشورية » فقد خضعت للعرب البائدة فولي الأمر فيها تسعة ملوك منهم استتب لهم فيها الحكم ٢٤٥ عاماً كما يقول المؤرخ الكلداني بروسيوس ، ولما افضى الأمر الى مرجون الآشوري قاتل بني ثمود وقضى بجلاتهم الى مدينة غزرة في فلسطين ، وكانت مواطن ثمود كما يقول بطليموس مدينة « اومن » في جنوبي العقبة الى الموبلح ، وكانت هذه البقاع من قبلهم لبني حيان كما نص على ذلك الجغرافي بلينيوس ؛ ثم ان الاسكندر الاكبر المكدوني يوم غزاه مدينة غزرة التي فيها حكومة عميرية من « بني معين » وكانت هذه القبيلة العربية العجيبة قد غادرت وطنها الأول في جوف اليمن وانتشرت في الالف الثاني قبل الميلاد في جميع أنحاء الحجاز وهضاب سيناء ؛ ويعتقد الاستاذ « جلازر » ان المكسوس الذين هبطوا مصر فاتحين ؛ انما كانوا من بني معين ؛ واما أثر بني معين في الشعوب القديمة فتوميء اليه نقوش مكتوبة ظهرت في مدينة « اور » في العراق ؛ ويقول العلامة هومل ان الخط العربي المسند هو الاصل الذي اشعب منه الخط الكنعاني ؛ ومن جملة أدلته على صحة ذلك ان هنالك نماذج من الكتابة المعينية وصلت لنا أقدم من أختها الكنعانية .

حظ سورية من العروبة

ان الرومان عندما افتتحوا سورية وجدوا بين أهلها العرب ؛ وان لهم فيها دولتين شاختين — أما الاولى فدولة الانباط في سلع المعروفة عندنا بالبراء أخذاً من اسمها العربي ؛ والى عاملها على دمشق أشار بولس الرسول في الاصحاح الحادي عشر من رسالته الثانية الى اهل كورنتوس فقال :

« في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد ان يمكني فتديت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه »
 أما الدولة الثانية فحكومة آل السميندع في تدمر ؛ ومن أشهر ملوكها اذينة الثاني زوج الزباء الطائرة الصيت ؛ وقد وقف الاستاذ ليتمن خلال التنقيب في النقوش الصغوية على اسم اذينة هذا مما يشعر بذاهة قدره ؛ وذبوع ذكره .
 ثم انه لا يخفى عليكم ان احد رجال العرب قد تبوأ العرش الروماني فكان قيصرًا للرومان ويعرف باسم فيلبوس العربي (٢٤٤ - ٢٤٩ م) وذلك أثناء احتفاء الرومان بذكرى الف سنة مرت على تأسيس رومة .
 ولعل من ادعى الامور الى الدهشة في هذا الوطن السوري الكريم ان سيادة العرب فيه كانت متصلة متتالية ؛ فلم ينتكث لها حبل ؛ ولا انطمس لها عهد ؛ فكما انهدمت لهم دولة فيه ؛ تجمت اخرى مكانها ؛ فانه عندما انهارت المملكة النبطية ؛ نشأت بعدها الذمرية ؛ فلما تداعت أركانها ؛ قام بأمر العرب بنو غسان ؛ فلما استشرى الضعف فيهم ، اذن الله بظهور الاسلام ، فجمع كلمة العرب بعد الشتات والانقسام ، ونهض بهم من ذات الصدع ، الى ذات الرجوع ، « وزيد ان نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

الموقف السياسي

وقد حان لي بعد تلك اللوحة الخفيفة ان أشرف بكم ايها السادة على الحالة السياسية في الحقبة الاخيرة الجاهلية ؛ وموقف العرب منها .
 إن ما يعرف اليوم بالشرق الادنى ، كان قبل ظهور الاسلام العامل السياسي في الحرب الطاحنة بين فارس والروم ، لنشوب اكثر المعارك فيه ، ولأن مملكة الروم كانت في أمس الحاجة الى متاجر الهند ، وسائر آسيا ، وبلاد العرب نفسها ولذلك كان من مرامي فارس ان تجد مستقرًا لها في بلاد العرب ؛ لخطورة ذلك الموقع من الناحية الجغرافية ، ولأن في طاقة فارس ان تنفذ منه الى عرضها فتمنع خيرات الشرق عن الروم .

وأما مملكة الروم فكانت تزود عن مصالحها بمخالفة الاحباش ، لما بين الروم وبينهم من أواصر الدين ، فكانت تغريهم باليمن وتقيم منهم في تلك الاصقاع السحيقة سداً دون مطامع فارس ، ما استطاعت الى ذلك سبيلاً .

فكان النفوذ السياسي في الشرق والجنوب من بلاد العرب لفارس ، وفي الغرب للروم ، وكانت مكة اميل الى هؤلاء منها الى خصمهم ، لصلتها التجارية بهم عن طريق سورية ، ولأن أكثر المكيين كانوا من القبائل الشمالية اي من بني عدنان ، أما يثرب فكانت لمكة بالمرصاد ، تنافسها في التجارة وتنقم عليها ثروتها الطائلة ، وكان أهلها من القبائل الجنوبية أي من بني قحطان .

لقد نزل العرب على تخوم فارس والروم في العراق وسورية منذ احقاب خلت فأكروها الدولتين فيما بعد على مخالفتهم ، وأصبح للعرب عمال وامراء في المملكتين ، وكان كل قبيل منهم ينصر حليفه ، على ان العرب كانوا الفينة بعد الفينة يتناسون ما يبرم بين العاهلين من هدنة كما فعل القائد العربي الغساني المعروف باسم خالد في الغارة على عاصمة المنذر في العراق (٥٤٠ م) فانه لم يعبأ بالبتة بما كان بين الفرس والروم من مهادنة فشكاه كسرى الى جستينيان ، ولما لم يتلق منه جواباً ، أثار كسرى على اماسيا وحب ومدن أخرى حتى كاد يكتسح سورية لو لم يهرع الروم الى طلب الصلح والتزول لكسرى عما استولى عليه من أمصار .

اما المملكة النبطية فكانت في الزمن الاخير أشبه بما نسميه اليوم (الدولة الحجازية) ولكن الرومان غلب عليهم الجشع والطمع فلم يكثرثوا لذلك قبيلًا وقضوا عليها في عام ١٠٦ م ، وكان آخر ملوكها مالك الثالث بعد ان تعاقب عليها ما شاء الله من أزمنة بلغت ستة قرون او شيعها أدركت فيها الذروة من الحضارة وال عمران ، ورواج الأسواق ، وقد اتخذت مدينة بصرى العربية من تلك الكارثة الفادحة بداية تؤرخ بها الحوادث جرياً على عادة العرب في مثل هذه الامور الجسام كعام الفيل ، و عام الخناب ، ونحو ذلك ، اما الرومان فقد رزحوا بعد زوال الانباط تحت مشاكل مرهقة

فكانوا في عجز فاضح عن سد الثلثة ، ورأوا من الصحراء حلبة نزاع دائم بينهم وبين القبائل البدوية بله المملكة الفارسية ، أما العرب فحمل لواءهم بعد الانباط آل السميذع في تدمر ، وتحولت الى تدمر الطرق التجارية حتى بلغت قمة المجد في القرن الثالث للميلاد ، وقبل ان ينتصر عليها الرومان كانت صحراء سورية تنغش مكتظة بالقبائل البدوية النازحة من جوف الجزيرة وأطراف العراق ، واصبحت المدن السورية عرضة للغارة عليها في كل أوان ، فعقد الروم حلفا مع بني غسان ونفحهم بالهبات المالية واتخذوا منهم رداءً لهم في النوازل والخطوب ، ثم تضاءل ما بين الامتين من سبب وذريعة ، فالعرب في صفاء نفوسهم ، ومقتهم للغدر ، قد طالما زلت بهم القدم ، واسلمتهم الفطنة ، وراى عليهم من الروم الدس والختل ، فحشمهم ذلك من عنت البلاء ضرورياً ، ومن أذى المحن افانين ، أما الروم فكان نصيبهم الويل وقت العصد ، وان تاريخ العترة الغسانية لمفعم بتلك الصور السافرة ، مترع بما بعزها من مشاهد متواترة ، وحسبي في الدلالة عليها ماسنح وطف من سيرة ملوك ثلاثة هم الحارث الرابع ، وابنه المنذر ، وحفيده النعمان .

الحارث الرابع

لقد كان الحارث الرابع أشهر ملوك العرب المتأخرين من بني غسان ، واعظهم شأنًا وقد خلغ عليه الامبراطور جستنيان لقب بطريق وفيلارك (٥٢٩ م) وذلك على اثر ما أحرز من نصر على المنذر الحيري ، وجزاء لما أسدى من يد للروم في اخماد فتنة السامريين ، اما فيلارك العرب في فلسطين فكان يعرف بأبي كرب وقد شدة أزرهم في تلك النائرة فكأفاه القيصر بعشرين الف أسير باعهم أرقاء للفرس والاحباش . ولقد قاتل الحارث تحت قيادة بليساريوس ولكنه في الاوبة ركب غير الطريق التي سلكها جيش الروم فظنوا به الظنون ، وانه دلس عليهم الرأي ، وان له بالفرس صلة مستسرة ، وكذلك كان الروم يصدرون في معاملتهم للعرب عن ريبة تساورهم ، وحذر يمل عليهم ، فأخرجوا العرب من سجنيتهم مكرهين ، وسلخوهم عن فطرتهم مرغمين .

لقد كان الحارث خصماً عنيداً للمنذر الحيري وهو المعروف بابن ماء السماء

وجد النعمان ابي قابوس آخر ملك لخمى في الحيرة ، وكان مثار النزاع في الاكثر بين الملكين العربيين تلك البادية الواقعة جنوبي تدمر ، فقد ادعاها كل منهما لنفسه ، وانه الحقيق وحده بجباية الاتاوة منها ، وقد تجدد القتال بين الحارث والمنذر في سنة ٥٤٤ م فوقع ابن الحارث أسيراً بيد المنذر فقدمه قربانا لآلِ لُهمته العزى (افروديت) وفي خلال سنوات عشر من تلك الحرب الضروس نشبت المعركة الحاسمة بين الملكين فسقط فيها المنذر الحيرى قتيلا وصرع احد انجال الحارث الغساني ويقول العلامة نولدي عنها انها هي وقعة الحيارين ويوم حليلة وانها معركة واحدة لا اثنتان ، وان حليلة ليست امرأة بل اسم مكان . وقد رحل الحارث في أواخر حكم جستنيان (٥٦٣) م الى القسطنطينية وفاوض التقيصر فيمن يخلفه على سورية من اولاده ، وكان لهيبته سلطان كبير على ابن اخي التقيصر جوستين ، وكان وليا للعهد ، فلما آل اليه الملك واصابه الخرف كان رجال البلاط يروءونه باسم الحارث كما نشز عليهم واعياهم امره ، وقد رجع الحارث من العاصمة الى سورية ومعه اسقف من القائلين بيدعة الطبيعة الواحدة ، رعاية لشعور قومه الديني ، فقد كانت تلك العقيدة بينهم فاشية ، ولفظ اسقف معرب (ايسكيوس) باليونانية ، ومعناه رقيب او ناظر والمعروف عن الحارث انه قد توفي في غضون ٥٧٠ م بعد ان تولى الأمر اربعين عاما ، وقد ورد اسمه في الوثائق الكنسية لسنتي ٥٦٨ ٥٦٩ م .

كان الحارث كسائر العرب ، يهزه الأدب ، وله بصر بمذاهب الكلام ، وقد اتخذ المرقش الاكبر كاتباً له ، ومما اوصاه في ذلك قوله « اذا نزع بك الكلام الى ابتداء معنى غير ما أنت فيه ، فصل بينه وبين ما تبتغيه من الالفاظ ، فانك ان مذقت الفاظك بغير ما يحسن ان تمذق به نفرت القلوب عن وعيها وملتها الاسماع ، واستثقلتها الرواة » .

ومن كلام المرقش يصف البادية والذئب

ودوية غبراء قد طال عهدها تهالك فيها الورد والمرء ناعس
وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد المدوء النواقس
ولما أضأنا النار حول شواننا عرانا عليها اطلس اللون باتس

نبذت اليه حُرَّةً من شوائنا حياء ، وما نُخشي على من اجالس
 فاض بها جذلان ينفذ رأسه كما آب بالنهب الكمي الخالس
 ومن أخبار الحارث انه مر بفاريق من تغلب ، وكانت بنو تغلب قد لحقت بالشام
 بعد ثورتها على ملك العراق ؛ فلم يستقبلوا الحارث ، وركب عمرو بن كَثُوم الشاعر
 التغلبي فلقبه فقال له الملك : ما منع قومك ان يتلقوني ؟ قال : لم يعلموا بمرورك ؛
 قال : لئن رجعت لأغزونيهم غزوة نتركهم ابقاظاً لقدمي ؛ فقال عمرو : ما استيقظ
 قوم قط الا نبل رأيهم ، وعزت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم .

جوستين الثاني والمنذر

ولما أفضى الأمر الى جوستين الثاني عمل على اغتيال المنذر نجل الحارث ، وكان
 قد خلف أباه ، وقاتل الفرس وعرب العراق تحت لواء الروم ، ولكن المؤامرة حبطت
 وثار المنذر على الروم سنوات ثلاثاً أغار الفرس في خلالها ومعهم أنصارهم من عرب
 الحيرة على سورية ، فأوفد طياريوس ، وكان وصياً على العرش ، مفوضاً من القسطنطينية
 اسمه يوستينيانوس لعقد الصلح مع المنذر فاجتمع به عند ضريح القديس مرجيوس في
 الرصافة ، وكان ذلك القديس موضع احترام السوريين قاطبة ، وتم الصلح في صيف
 ٥٧٨ م وقد توفي جوستين الثاني في هذا العام وقام بالامر بعده طياريوس وكان اكثر
 تودداً للعرب ، فسافر المنذر الى القسطنطينية ومعه ولده ولبس فيها التاج (٥٨٠ م)
 وكان القيصرية قبل ذلك لا ينعمون على العرب الا (بالاكيل) ثم انقلب المنذر الى
 سورية وهاجم عرب الحيرة الا انه لم يتجاوزهم الى ارض فارس فارتاب الروم بأمره
 ورموه بالتواطؤ مع الفرس وكلفوا القائد ماغنوس في سورية ان يقبض عليه ، فدعاه
 الى احتفال في كنيسة حوارين وهناك اعقله وأرسله مخفوراً الى العاصمة .

ثورة بني غسان

وقطعت الروم الاعانة المالية عن العرب ، فاستعرت لظى الثورة تحت زعامة النعمان
 النجل الاكبر للمنذر يعززه اخوته الثلاثة فاشاعوا الرعب في سورية جمعا حتى انخلت

منهم قلوب الحامية في بصرى فتخلت لهم عن الذخائر الحربية وغيرها من أموال ابيهم المودعة في بصرى ، فبعأ طيباريوس جنوداً أخرى وضعها تحت قيادة ماغنوس لقمع الثورة ، وكان مع الجيش اخ للمنذر أعده الروم تضليلاً للعشائر الغسانية ولكن المنية ادركته في الطريق فأسقط في يد القائد الرومي الا انه احتال على النعمان فدعاه الى المفاوضات السلمية فأجاب الدعوة ولكن ماغنوس غدر به فقبض عليه وأرسله الى القسطنطينية فباعها في عهد القيصر موريقوس وكان يعامل فيها كأسير حر فانتشرت الفوضى بعد ذلك بين العرب السوريين ، وانقسموا حول شيوخهم شيعاً عشرين ، حتى اذا زحف الفرس على الروم واتخنوا فيهم (٦١٣ — ٦١٤ م) لاذ العرب باذيال الحيادة بل انضم بعضهم الى الفرس ، ولحق منهم عدد قليل ببلاد الروم ، الا ان هرقل أعاد تأسيس المملكة الغسانية (سنة ٦٢٩ م) ونصب عليها جبلة ابن الأيهم ولكن الطلائع العربية كانت في خلال ذلك قد أخذت تحت راية الاسلام تفرع بظبات سينوفها ابواب مملكته من الجنوب .

العرب والفرس

اما فارس فشمرت لطرد العرب من العراق بعد ان بثوا المستعمرات العربية على حدود الفريثيين ونفاقم امرها حتى شملت الارض التي عرفت فيما بعد بالسواد ، فحاصر ازدشير اول ملوك بني ساسان المستعمرة العربية المعروفة بامم (الحضرة) ثم ان ابنه سابور انتصر على العرب (٢٤٠ م) ولكنه عي باخراجهم من البلاد فعقد اتفاقاً معهم ينص على ان يتناول العرب اعطيات مالية من الملك الأعظم وان يخضعوا له ، وان يدافعوا عن الحدود قال الشاعر :

أقفر الحضرة من نصيرة فالمر باع منها فجانب الثرثار
والثرثار واد عظيم بين سنجار وتكريت كانت فيه منازل بكر بن وائل واختص
بأكثره بنو ثعلب منهم ويمر بالحضر ثم يصب في دجله قال عدي بن زيد .
واخو الحضرة اذ بناه واذ دجلة تجي اليه والخابور
شاده مرمرًا وجبله كلسًا فللطير في ذاره وكور

نظام الاستعمار الفارسي

لقد كانت المملكة الفارسية تتألف من ولايات شتى يتولى شؤونها رئيس يكون مسؤولاً لدى الملك الاعظم وقد تنتخب الولاية رجالاً ينصبه الملك وقد يولي غيره ، وقديماً تم تكوين الجالية اليهودية تحت زعامة رئيسهم في الاسر جرياً على هذه القاعدة ، وعندما عظم أمر المسيحيين انفردوا بولاية مستقلة تحت رئاسة سلوقية ، فعاهل فارس وان كان في الظاهر مستبداً الا انه كان يحكم المقاطعات المترامية الاطراف وفقاً لرغبة أهلها بخلاف ما كانت عليه دولة الروم من تزمّت في الادارة وضيق عطن ، ولذلك استمتع العرب تحت حكم فارس بنوع من (الحكم الذاتي) واسع النطاق ، فكان لهم استقلالهم تحت سيادة ملوكهم ، وكانت التزاماتهم للملك الاعظم تجري طبقاً لميثاق يعقد ، فكانت الملك الاعظم يختار على العرب ملكاً من لحم أرباب القصور والحضارة ، اما بنو تنوخ فكانوا من سكان الخيام . ولقد بلغ من علو شأن العرب عند الفرس ان ملك فارس يزيد جرد الاول (٤٢٠ م) بعث ابنه الأكبر بهرام الى الخيرة لينشأ فيها على البطولة والفروسية ، ولكي ينعم بالهواء الطلق ولذة الصيد ، وقد سمت الخيرة الى اوج العظمة في عهد المنذر الثالث ، وعندما عقدت مملكة الروم صلحاً مع كسرى انوشروان (٥٣٢ م) دفعت غرامة لملك فارس ومثلها لملك العرب المنذر .

الموقف الداخلي في بلاد العرب

لقد كانت مملكة حمير في مطلع القرن السادس بعد الميلاد مشرفة على الزوال ، وكانت حكومة نجران في اليمن قد دب اليها هي الاخرى الضعف وكانت تتألف من أمير يلقب بالعاقب ، ووكيل يعرف بالسيد ، ومن اسقف ينظر في أمور الدين ، وكان ملوك القسطنطينية قد شرفوا العاقب ومولوه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه ، ولذلك كله خلا المجال (لملك الخيرة العربي) وأصبح (سيد العرب) في القسم الجنوبي من الجزيرة وخضعت

له معظم القبائل في أواسطها ، وكان سلطان الفرس مرتبطاً بذلك التوسع والنفوذ ، فأصبحت السيادة لفارس على الجنوب الشرقي من الجزيرة ، وعلى الجنوب الغربي منها ، فلا غرابة والحالة هذه اذا رأينا الملك عمرو بن هند يشير الى البحرين ، وهي عنه البعيدة النائية بأنها تحت حكمه ، وداخلة في نطاق أعماله ، ويأمر المتلمس وطرفة الشاعرين الشهيرين بالسفر اليها ، لقبض الجائزة من عامله عليها ، وقد حملها اليه كتاباً منه ، وانكم ايها السادة لتعلمون ان المتلمس انكر تلك الصحيفة فدفعها الى غلام من اهل الخيرة يقرأها له ، لأنه كان أمياً ، فاذا فيها (أما بعد فاذا اتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً) فقدف المتلمس بالصحيفة في اليم وهرب الى بصرى وأخذ يهجو الملك ابن هند ، وكان قد بلغه ان الملك كان يقول : (حرام عليه حب العراق ان يطعم منه حبةً ولئن وجدته لأقتلنه) وكان مما قاله المتلمس :

يا آل بكر الا الله امكم طال الثواء وثوب العجز ملبوس
أغنيت شاتي ، فأغنوا اليوم تيسكم واستحذوا في مراس الحرب او كيسوا
ثم قال :

آليت حب العراق الدهر احرمه والحب يأكله في القرية السوس
لم تدر بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكداديس
وقال عن الصحيفة :

قذفت بها في اليم من جنب كافر كذلك التي كل رأي مضلل
رضيت بها لما رأيت مدادها يجول به التيار في كل جدول
أما طرفة فاتته الى البحرين وأمضى فيه العامل أمر الملك ، وقد رثته أخته الخرنق فقالت :

عددنا له خمساً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيداً ضخماً
نجعنا به لما انتظرنا اياه على خير حال لا وليداً ولا قحماً
ولقد كانت عمرو بن هند هذا على ما فيه من قسوة وعتو ، وهو الملقب بمضطرط الحجارة ، يروقه الشعر ويطرب لانشاده ولما انشده الحارث بن حلزة قصيدته . وكان

بينها سبعة ستور اعجب الملك بمنطقه وكانت هند ام الملك تسمع ، فقالت لابنها (تالله ما رأيت كاليوم رجلاً يقول مثل هذا القول بكلم من وراء سبعة ستور) فقال الملك (ارفعوا ستراً وادنوا الحارث) وما زالت هند يزيد اعجابها به ، والمملك يقول ارفعوا ستراً وادنوا الحارث حتى ازيت الستور السبعة ، واقعدده الملك قريباً منه ثم اطعمه من جنته وأمر ان لا ينضح اثره بالماء لأن الحارث كان به وضع أي برص ، واطلق الملك السبعين بكرياً الاسرى ودفعهم الى الحارث ، وفضل قصيدته على قصيدة عمرو بن كلثوم ، فعاد التغليبيون الى أحيائهم ومعهم شاعرهم وهم يحملون في جوانحهم للملك كل ضغن ، ولبثوا كذلك . ماشاء الله حتى جمعهم الملك مرة أخرى فثاروا عليه وانتهبوا رواقه ، وصاقوا نجائبه ، وعلاه عمرو بن كلثوم بالسيف فأودى به .

الممثل الفارسي

أما الممثل الفارسي فكان بمنزلة المندوب السامي في السياسة الخاضرة ، ومقامه في صنعاء ومنها يشرف على سائر اليمن وعمان والبحرين ، ويمتد نفوذه الى الصميم من نجد عن طريق اليمن وذلك ان كنده من القبائل القحطانية كانت قد التفت حولها قبائل بني بكر من اليمامة في أواسط القرن الميلادي الخامس لاتساع شقة الخلاف بين البكرين ، فأجمع عقلاؤهم على أن يولوا منهم ملكاً يختاره لم سيد اليمن نفسه فاتتقى لهم رجلاً من كنده اسمه حجر وهو والد امري القيس الشاعر الكبير فذهب الى نجد وجمع البكرين تحت لوائه .

حكاية عجيبة

ومن أعجب ما حدثتنا به السير أن أحد ولاة فارس في صنعاء وهو المسمى باذان أوفد بعض الجند الى الرسول الأعظم ﷺ في المدينة المنورة ، ولم يوفد اليه جيشاً لجياً بل رجلين اثنين من رجاله لأن الحجاز كانت من (مناطق نفوذه) ولذلك لم تنكر قريش على باذان ما فعل ولا وقع لديها أمره موقع الاستغراب بل فرحت برؤية جندييه وظنت بالله الظنون فانه لما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كتب كسرى الى باذان

عامله على اليمن (بلغني ان في أرضك رجلاً تنبأ فابعث به الي) فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان كاتباً حاسباً وبعث معه برجل من الفرس يقال له خرخرسه فكتب معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره ان ينصرف معها الى كسرى وقال لبانويه (وملك انظر ما الرجل وكمه واثنني بخبره) فلما بلغا الطائف وكان فيه حيمئذ جمع من أشرف قريش مثل أبي سفيان وصفوان بن أمية وغيرهما فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انه يثرب فلما سمع ابو سفيان وصفوان بن أمية مضمون كتاب باذان فرحا وقالوا (مثل كسرى قام بعداوته) وقدم بانويه وخرخرسه المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدما عليه انزلهما وامرهما بالمقام أياماً ثم أرسل لهما ذات غداة ولما دخلا عليه قال لهما (اجلسا) فبركا وجلسا على ركبهما وكمه بانويه وقال (ان شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك لتنتقل معي فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان أبيت فهو من قد علمت وهو مهلك قومك ومخرب بلادك) وأعطياه كتاب باذان ولما اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتاب باذان وسمع حكايتهما تبسم ودعاهما الى الاسلام ثم قال لهما (ارجعا حتى تأتياي غداً) فلما أتيا الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغد قال (ان ربي قد قتل الليلة ربكما بعد ما مضى من الليل سبع ساعات ، سلط عليه ابنه شبرويه حتى بقر بطنه ٦) وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء العاشرة من جمادى الاولى من السنة السابعة من الهجرة ثم قال (اذهبا واخبرا صاحبكما - يعني باذان - بهذا الخبر) فقالا (هل تدري ما نقول ؟ انا قد تقمنا منك ما هو أيسر من هذا أفنكتب بها عنك ونخبر الملك) قال النبي (نعم أخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر وقولا له انك ان اسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكنك على قومك من الابناء) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى خرخرسه منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر فقال (ما هذا بكلام ملك واني لأرى الرجل نبياً كما يقول ولننظرن ما قد قال فلئن كان ما قاله حقاً سيأتي

الخبر الي يوم كذا ولا كلام انه نبي مرسل ولا يسبقني عليه أحد من الملوك في الايمان به ، وان لم يكن فسرى فيه رأينا) فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه (أما بعد فاني قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل اشرافهم فنفرق الناس فاذا جاءك كتابي فخذ لي الطاعة من قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه) فلما انتهى كتاب شيرويه الي باذان قال (ان هذا الرجل لرسول الله حقاً) فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن وبعث باذان بإسلامه واسلام من كان معه الي رسول الله ﷺ .

امروء القيس ورحلته الي قيصر

لقد كان العرب في ذلك الزمن الغابر كلما ضاقوا ذرعاً بالسيطر عليهم من غير بني جنسهم فزعوا الي خصمه ولذلك سافر امرؤ القيس الي القسطنطينية بعد مقتل ابيه مستصرحاً القيصر « جوستينيان » على بني أسد ، وعلى المنذر ملك العراق ، فوعده القيصر خيراً ثم عرض عليه أن ينصبه أميراً على فلسطين فأبى امرؤ القيس تلك الامارة وكره راجعاً الي نجد ومات في أقره .

ان في سفر امرئ القيس الي العاصمة الرومية لدليلاً على معرفة العرب باستغلال العداوة القائمة بين الروم والفرس ، وبرهاناً على علمهم بأسباب النزاع بين الدولتين ، فقد طمع امرؤ القيس في نصرة الروم له لما وقر في نفسه من أنهم يرغبون في ان يصيبوا من أعدائهم الفرس مقتلاً من مقاتلهم الاقتصادية ، وان امرأ القيس لم ينس أن يشيد بما عن له من ضروب الطرف التجارية في قصيدته الرائية فذكر السنا ، والمسك الموضوع في حقة يمانية ، والبان والعود والبخور المدخن وذلك في قوله :

وريح سنا في حقة حميرية تخص بمفروك من المسك اذفرا

وبانا ، والوياً من الهند ذاكياً ورنداً ولبنى والكباء المقترا

ولقد كان لبني أسد النصيب الأوفر ، في اخفاق امري القيس عند قيصر ، فقد دسوا اليه وفداً منهم أتى القسطنطينية وعلى رأسه الطماح بن قيس فأفسد رأي القيصر في امري القيس ، وحمله على التبرم به والاعراض عنه قال امرؤ القيس :

لقد طمّح الطّاح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا
 الا ان بعد العدم للمرء قنوة وبعد المشيب طول عمر وملبسا
 وقد رزي امرؤ القيس ببعض أصحابه في الطريق الى قيصر فمات منهم الحارث
 ابن حبيب السلمي فرثاه بقوله :

ثوى عند الودية جوف بصرى ابو الایتام والكل العجاف
 فمن يحمي المضاف اذا دعاه ويحمل خطة الانس الضعاف
 والودية النخلة الصغيرة ، وقد بكى رفيقه عمرو بن قميئة شاعر بني بكر المشهور وهو المعنى بقوله :
 بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقاف بقيصرا
 فقلت له لا تبك عينك انسا نحاول ملكاً او نموت فتعذرا

منازل بني أسد والحارث الاعرج

ولقد كانت منازل بني أسد تقع الى الجنوب من تيماء اي الى الشرق من
 الطريق التجارية الكبرى وكانت قبائل بني عذرة ، وجذام ، وبلي ، منتشرة على
 طول تلك الطريق التي أصبحت اليوم طريق الحجاج من معان الى المدينة وأما سلاسل
 الجبال اجأ ، وسلمى ، وعوارض ، فكانت تشرف من الغرب والجنوب على بني أسد
 الذين تؤلف منازلهم التخم الشمالي لعنزة والنصر النازلين على الطريق المؤدية من ناحية
 الجنوب الى فلسطين وسورية . قال حسان بن حنظلة الطائي :

غضبت علي ان اتصلت بطيء وأنا امرؤ من طيء الاجبال

أي اجأ وسلمى وعوارض . وأما بنو كلب وهم قبيلة يمانية كذلك فتتزل في الشمال وفي
 الشمال الشرقي من مواطن تلك القبائل اعني في المنخفضات التي تعرف اليوم باسم الجوف
 ووادي السرحان ؛ وكانت كثبان الرمال المترامية التي تسمى اليوم صحراء « النفود » هي
 الحاجز بين تلك القبائل اليمنية وبين بني أسد ، وكانت ديار بني أسد هدفاً لهجوم الغسانيين
 عليهم ، وأشهر من غزاهم الملك المعروف في القسطنطينية باسم (الحارث الاعرج) وقد
 مزق شملهم بجيوش جهزها عليهم خاصة لاعتدائهم بالغارة بعد الغارة على الحدود
 (٤٩٧ - ٥٠١ م) ولجأت بقية السيوف منهم الى اوزاع غيرهم من اخوانهم الآخرين .

قال شاعر بني أسد عبيد بن الأبرص يذكر الحارث الأعرج :
 نحن قدنا من أهاضيبي الملاا
 فانتجعنا الحارث الأعرج في
 نخيل في الارسان امثال السعالي
 جحفل كالليل خطار العوالي
 ثم يصف ديار بني أسد فيقول :

ولنا دُرُ ورثنا عنزها م الاقدم القدموس عن عم وخال
 مالنا فيها حصون غير ما م المقربات الجرد تردي بالرجال
 وقال عن بني غسان :

بجحفل كبهيم الليل منتجع
 وكل أجرد قد مالت رحالته
 ارض العدو لها م وافر العدد
 نهدي المراكل فعم ناتي الكتد
 حتى تعاطين غساناً فخر بهم
 يوم المرار ولم يلووا على احد
 غوت بنو أسد غسان أمرهم
 وقل ما وفقت غسان للرشد

وقال فيهم :

وجمع غسان لقينام بجحفل قسطله ذائل

وقال يسخر من امرئ القيس وذعابه الى قيصر

ياذا الخوفنا بمقتل شيخه
 ازعمت أنك سوف تأتي قيصراً
 حجر تمني صاحب الاحلام
 فلتهلكن اذا وأنت شام

وقال يعبره :

وأنت امرؤ أهلك دف وقينه
 ظللت تغني ان اصبحت وليدة
 فتصبح مخموراً وتمسي كذلك
 كأن معداً أصبحت في جبالكا

أما امرؤ القيس فأودع دروعه عند السمؤال بن عادياء فجعلها في قصره الأبلق
 بالقرب من تيماء ولما ذاعت الأنباء بوفاة امرئ القيس ظهر الحارث الغساني امام الأبلق
 بصفة أنه حامي الحدود الرومانية وطلب الدروع من السمؤال وهدده ان لم يفعل
 بقتل ابنه على مرأى منه ومسمع ، وكان قد قبض عليه خارج الحصن أثناء عودته
 من الصيد فأبى السمؤال تسليم الدروع وقتل الحارث ابنه ونكص عن الحصن يجر

أذبال الخبية أما حجة الحارث فكانت تقوم على أن امرأ القيس أصبح من (التابعة الرومانية) بطلب مساعدة القيصر ، وأما الحارث فقد أصبح بصفة كونه ممثل الامبراطورية على حق في ان يرث امرأ القيس .

النظام العسكري في الحيرة

أما النظام العسكري فليس لدينا نأياً عنه مسهب الا ما كان منه في بلاط النعمان بن المنذر، فقد كانت للنعمان كتائب خمس وهي الرهائن - والصنائع - والوضائع - والاشاهب - ودوسر . أما الرهائن فكانوا خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ثم يستبدلون بخمسمائة آخرين وينصرف أولئك الى احيائهم ، فكان الملك يفرز ويجهزهم في اموره أما الصنائع فبنو قيس وبنو تيم اللات ، و كانوا خواص الملك لا يبرحون بابه أي أنهم كانوا له « الحرس الخاص » .

أما الوضائع فكانوا الف رجل من الفرس يضمهم ملك فارس في الحيرة نجدة لملك العرب وكانوا كذلك يقيمون سنة ثم يخلفهم الف رجل وينصرف أولئك الى ديارهم إي أنهم كانوا « جيش الاحتلال » .

أما الاشاهب فأخوة ملوك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم وسموا الاشاهب لأنهم كانوا يبيض الوجوه ، قال الاعشى :

وبنو المنذر الاشاهب في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

وأما دوسر فكانت اخشن كتائب الملك وأشدّها بطشاً ، ومن كل قبائل العرب ، ومعظمهم من ربيعة ، وكانت دوسر تعد أربعة آلاف رجل ، وسميت دوسراً اشتقاقاً من الدر ، وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها .

وكان الملك في رأس كل سنة من أيام الربيع يأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلاً عندده وهم (ذوو الآكال) فيقيمون عنده شهراً ويأخذون أكلم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم .

فؤاد الخطيب

(يتبع)

الترادف

هل نجد في اللغة ألفاظاً مترادفة في معانيها مترادفاً متكاملًا ، هذا سؤال خطر بالبال وأنا أطالع كتابين متناقضين ؛ الألفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة وسر العربية للتعالي .

يقول الهمداني في مقدمة كتابه : فليست لفظة منها ، أي من الألفاظ التي جمعها ، إلا وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة أو تقوم مقامها في المحاورة ، أما بمشاكله أو بمجانسته أو بمجاورة .

قبل أن أسأل هذا السؤال : هل تنوب في اللغة لفظة عن لفظة مناباً كاملاً ، أحب أن أشير إلى بعض ألفاظ ذكرها الهمداني في كتابه ، فقد وقعت عيني في هذا الكتاب على باب ترادف السلب ، أشار الهمداني إلى أنه يقال : اغتصب فلان مال فلان وسلبه . فننظر في معاني هاتين المادتين ، ذكر الفيروزبادي مادة غصب فقال : غصبه أخذه ظلماً كأغتبصه ، وغصب فلاناً على الشيء قهره . وذكر مادة سلب فقال : سلبه اختلسه كاستلبه .

فالقارى يرى أن الاغتصاب يستلزم الظلم والقهر ، أما السلب فليس يستوجب شيئاً من هذين الأمرين ، وإنما يحتاج إلى الخفة والسرعة فإن من جملة معاني السلب السير الخفيف السريع !

يستنتج من هذا أن سلبه لا تنوب عن غصبه نوباً متكاملًا إذا توخينا دقة التعبير . ومثل هذا الباب في الألفاظ الكتابية باب اللوم مثلاً ، فقد ذكر الهمداني أنه يقال : لمت الرجل لوماً وفندته تفنيداً .

فالفند بالتحرريك الحرف وإنكار العقل لهرم أو مرض والخطأ في القول والرأي والكذب وفنده تفنيداً كذبه وعجزه وخطأ رأيه ، فانظر إلى اتساع معاني هذه المادة .

أما اللوم فليس فيه شيء من كل ما ذكر فقد تلوم الإنسان وليس من الضروري

أن يكون خرقاً أو ان تنكر عقله لهرم أو مرض أو غير ذلك ، فهل تقوم لفظة
لمت الرجل مقام فنّده اذا كنا نغني بأسرار التعبير .

ونقيض كتاب الهمداني كتاب : فقه اللغة ، للثعالبي ، فقد جعل لكل لفظة
أسرارها وروحها بحيث لا نكاد نجد في ألفاظٍ متقاربة المعاني لفظة تنوب عن
أختها أو تقوم مقامها .

انظر مثلاً في تفصيل أوصاف السيد ، قال الثعالبي : الخلاجل السيد الشجاع ، والهام السيد
البعيد الهمة والقمام السيد الجواد والصنديد السيد الشريف ، الى آخر هذه الاوصاف .
فأنت ترى ان لكل لفظة من هذه الالفاظ أسرارها وروحها ، فالشجاعة غير
بعيد الهمة ، وبعيد الهمة غير الجود والجود غير الشرف ، فقد يكون السيد شجاعاً
ولا يكون بعيد الهمة ، ويكون بعيد الهمة ولا يكون جواداً ، ويكون جواد
ولا يكون شريفاً .

فهل تشمل اللغة على ألفاظٍ مترادفةٍ تكامل ترادفها ، هذا ما أحببت الوصول
الى السوأل عنه .

* * *

أنشأ « فنلون » في القرن السابع عشر كتابه الى « الاكاديمية » الفرنسية ، بحث
في هذا الكتاب عن أمور شتى ، فقد بحث عن المعجم وقواعد النحو واللغة والبديع
والشعر والأنواع الأدبية والتاريخ وأشباه هذا كله .

من جملة كلامه في فصل اللغة قوله : إذا فحصنا عن كثر من معاني الألفاظ فقد
يتبين لنا أننا لا نكاد نجد بين هذه الألفاظ لفظتين مترادفتين على وجه متكامل .
وقد قرأت تعليقاً على هذه العبارة لناشر كتاب « فنلون » وهو مفتش عام في
وزارة المعارف ، جاء فيه اننا اذا لم نجد لفظتين مترادفتين فهذا سببه انه لا يمكن
وجود هاتين اللفظتين ، ففي أية لغةٍ من اللغات لا نستطيع ان نشير في مختلف ألفاظ
هذه اللغة الا الى صلاتٍ في الترادف متقاربة لا متكاملة ، لأننا اذا ذهبنا الى أصل
هذه الألفاظ او اذا نظرنا في اختلاف الأشياء الدالة عليها فقد يسهل علينا ان نجد
فرقاً بين لفظتين نزع منها مترادفتان ، ثم أتى هذا الكاتب على ذكر طائفةٍ من

الألفاظ الفرنسية لا نجد لها نظائر في لغتنا العربية ، من حيث وجه الشبه ، لأن في اللغة الفرنسية ألفاظاً من أصل لاتيني وألفاظاً من أصل يوناني ، فاذا ذكرت لفظتان مترادفتان من هذين الأصلين المختلفين فقد يهون على الباحث ردُّهما الى أصلهما أما نحن معاصر العرب فلم نعرف حتى اليوم أصل لغتنا العربية ، على أن أهل اللغة بحثوا عن المترادف وستأتي الإشارة الى هذا البحث .

وقال الاستاذ « دارمستر » في كتابه الجليل : حياة الالفاظ في فصل المترادف :
لا نجد في لغةٍ مُخلقت في أحسن تقويم مترادفات على وجه متكامل ، على أننا نجد في لغتنا الفرنسية ألفاظاً كثيرة مختلفة للدلالة على شيء واحد ، فلبعض النبات مثلاً أو لآلة من الآلات ، أو لمحصول صناعي ، خمسة أو ستة أو ثمانية أسماء ، ولكن هذه الاسماء إذا كانت مستعملةً فإن استعمالها لا يقع الا في اماكن متفرقة ، او في صناعات متباينة ، اذ ان كل طائفة من الرجال ليس لها الالفة واحدة للدلالة على الشيء الواحد ، على ان هذه الأسماء المختلفة تدل على صفات مختلفة سميت الاشياء بها في أصل تسميتها ، وفعلاً لا يمكن ان يكون في اللغة العامة مترادفات متكاملة ، الا اذا كان أحد اللفظين المترادفين أقل استعمالاً من الآخر ، واذا كانت اللفظان مستعملين فان ترادفهما لا يطول زمنه لأن فكر الانسان لا يريد أن يزججه بحمل لا فائدة فيه ، فهذا الفكر اما ان يطرح في النهاية احد اللفظين واما ان يستعمله .

* * *

لقد بحث علماء لغتنا في المترادف البحث نفسه ؛ ولم يكن لفنهم فيه أقل من تفنن علماء لغة الغرب ، فقد ذهبوا في المترادف مذاهب شتى أشار اليها السيوطي في المزهري ، فمنهم من قال ومن الناس من أنكر المترادف وزعم ان كل ما يظن من المترادفات فهو من التباينات ، فقد يسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام ولكن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الالقاب صفات ، فكل صفةٍ منها فمعناها غير معنى الاخرى .

وخالف في ذلك قوم فزعموا ان هذه الاسماء وان اختلفت ألفاظها فانها ترجع الى معنى واحد وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام .

وقال آخرون : ليس منها امم ولا صفة الا ومعناه غير معنى الآخر ، وكذلك الأفعال ، ففي قعد معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيما سواه مثل مضى وذهب وانطلق ورقد ونام وجمع وغير ذلك .

فأنت ترى ان فريقاً من علماء لغتنا أنكروا المترادف كما أنكروه فريق من علماء الغرب ، وكيف يكون السيف والصمصام مترادفين تكامل ترادفهما ، فن أين جاءت هذه المادة : الصمصام ، يقال : صمم السيف كصمصم اصاب المفصل وقطعه او طَبَّقَ ، ومنهم من قالوا : ان التصحيم هو المضي في العظم وقطعه ، والتطبيق هو اصابة المفصل وقطعه ، ومنه : والصمصام السيف لا ينثني ، فلنظة الصمصام لا تقوم مقام السيف ، فان لها صفة خاصة : السيف الذي لا ينثني ، واذا زعمنا ان هاتين اللفظتين مترادفتان ، فهل تنوب الواحدة عن أختها ، من كلام الجاحظ : كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها ، فكيف يكون وقع كلامه لو قال : كان عبد الملك بن مروان صمصام قريش ، أفلا نجد ان لفظه السيف اذا استعملت في موضعها فلا تقوم مقامها لفظه أخرى من أخواتها القريبة منها مثل الصمصام . وكذلك القول في كثير من الألفاظ التي زعموا انها مترادفة .

ففي كل اللغات الفاظ لم يتكامل ترادفها ، فان بعضها ينفصل عن بعض بشيء من الاختلافات والبراعة كل البراعة في تمييز هذه الألفاظ وفي استعمالها في المواضع المناسبة وهذا مانسميه : فقه اللغة ، وكما ملكت اللغة ألفاظاً كثيرة للافصاح عن اختلافات الفكرة الواحدة او العاطفة الواحدة كما ازداد غناها ، فاذا عرضت لنا مثلاً فكرة السيادة ، وكان لهذه الفكرة الواحدة أوصاف مختلفة كالشجاعة وبعد الهمة والجود والشرف استطاعت لغتنا ان تفصح عن كل صفة من صفات هذه السيادة وهذا من كمال حسن اللغة ، اما المترادف المتكامل فلا أثر له في اللغة ، فلعل لفظه سرها وروحها .

شفيق جبري

نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول

(٣)

قلت في الجزء السابق من مجلتنا هذه أن لديّ عشرين لفظة أخرى من ألفاظ مجمع فؤاد الأول للغة العربية لا أدري متى يتسع وقتي لذكر اوجه الصواب فيها . وقد اختلست فرصة لذكرها وهي :

(٤٦) مشقوقات اليد . - ج ٤ ص ٥٢ البرثنيات Fissipida . قلت في هذه الترجمة غلط واضح . فالكلمة الاعجمية معناها مشقوقة اليد (او الرجل او القائمة) . وهي تطلق على ثدييات ذوات حوافر (او اضلاف) رجلها مشقوقة في منتصفها كالبقر والغنم والابل والخنزير الخ . أما البرثن في العربية فالكف مع الاصابع ، ومخالب الأسد ، او هو للسبع كالاصبع للانسان . ويتضح من ذلك ان كلمة البرثنيات لا تصلح بتاتا للدلالة على الحيوانات التي تعنيها الكلمة الأعجمية . ولو قالوا ظلفيات لكان لهذا القول وجه .

(٤٧) مجنّحات اليد . - ج ٤ ص ٥٣ الخفاشيات Chiroptera . قلت ترجمة الاسم العلمي مجنّحات اليد . ويجب الاحتفاظ بهذه الترجمة المشهورة لكي تستعمل الخفاشيات اي فصيلة الخفافيش مقابل Vespertilionidés

(٤٨) مفردات الاصابع . - ج ٤ ص ٥٣ الحافريات Perissodactyla . قلت الكلمة الاعجمية هذه معناها مفردات الاصابع . وهي تطلق على رتبة من الثدييات ، سميت كذلك لأن لها أصابع مفردة احداها ، وهي الوسطى ، قد نمت اكثر من رفيقاتها . وهذه الرتبة تشمل الخيليات والكر كدييات والتابيريات .

ورتبة ثمانية تسمى Artiodactyles أي مزدوجات الاصابع . وهي تعرف بأصابع مزدوجة ، منها المجترات Ruminants وفيها فصائل عديدة كالجمليات والغنميات والبقريات والزرافيات والابلات الخ . ومنها الجسنيات (من الجس وهو

الجلد الصلب) وتسمى صفيقات الجلود Pachydermes واليها ينسب الخنزير .
ويوجد رتبة ثالثة وهي الخرطوميات Proboscidiens منها الفيل .
والذي جعلني أذكر هذه الرتب الثلاث هو انهم يجمعونها في حلقة واحدة يسمونها
Ongulés وهي من اللاتينية Ungula بمعنى الخافر . فالخافريات اذن تصلح للدلالة
على Ongulés هذه . اما الرتب الثلاث فيجب ان تترجم أسماؤها بما ذكرته .
واذا قيل ان الخافر بالعربية لا تشمل رجل كل هذه الحيوانات أجبنا بأنها (أي
كلمة الخافر) لا تشمل أيضاً رجل الكركدن مثلاً وهو من مفردات الاصابع التي سماها
مجمع مصر الخافريات . ففي وضع المصطلحات العلمية لا يمكن التقييد دائماً بحرفية
المعاجم ، وهو أمر معروف .

(٤٩) تعدد الخلايا . — ج ٢ ص ١٦٧ التعددية Multicellularity . قلت
الترجمة الصحيحة هي تعدد الخلايا . أما التعددية فلا معنى لها هنا ، ولا يفهمها أحد .
والدليل على ذلك انهم ترجموا Multicellular بقولهم متعدد الخلايا لا بكلمة متعدد
وحدها (ج ٢ ص ١٦٦) .

وهنا يجب أن ننبه مجمع فؤاد الأول الى قضية هامة وهي ان حرصه على ايجاد
كلمة عربية واحدة لكل كلمة علمية اعجمية هو حرص كثيراً ما يكون في غير محله .
فالاوربيون يستطيعون ان ينتحوا كلمات مفردة من اللاتينية واليونانية . اما نحن فليس بوسعنا
دائماً ان ننحت كلمات ثقيلة لا يفهمها احد ، كما انه ليس بوسعنا دائماً ان نجتزى بأحد جزئي
الكلمة الاعجمية ، فنترجم معنى جزء واحد ، ونطرح الجزء الآخر . ولناخذ كلمة
Cheiroptères التي مر ذكرها مثلاً . فهي من اليونانية Cheir اي يد و Pteron
أي جناح . والمراد بالمنححات اليد اي ذوات الأيدي المنحطة . وهي الوطاويط
والخفافيش التي استطالت أيديها وامتد بينها غشاء فصارت تستعمل للطيران
كأجنحة الطيور .

فالطالب الفرنسي او المثقف الفرنسي الذي يقرأ هذه الكلمة الفرنسية يدرك على

الفورمدولوها، لأنه يدرس مبادئ اليونانية واللاتينية وأصول الكلم الفرنسية في مدارس التجهيز . وهكذا حاله تجاه سائر الاسماء العلمية . أما الطالب العربي فانه اذا قرأ كلمة منخوتة من كلمتي جناح ويد مثل (جَنِيدِيَات) وامثالها من الرطانات فماذا يفهم؟ واذا اجتزأت بأحد جزئي (مجنحات اليد) فقلت (مجنحات) او قلت (بَدَوِيَات) تكون قد أضعت معنى الكلمة الفرنسية باطراحك نصفها . اما اذا قلت مجنحات اليد فقد بلغت المراد . ويجب ان يعلم اعضاء مجمع فؤاد الاول ان اللغة العربية لغة اختزال ، وانه لا يضيرها في كثير من الاحوال كون الكلمة الفرنسية الواحدة يعبر عنها بكلمتين عربيتين . فحروف (مجنحات اليد) ليست اكثر من حروف Cheiroptères وحروف (تعدد الخلايا) أقل من حروف Multicellularity

ويتضح من ذلك انه لا لزوم لكلمة التعددية اي لهذا المصدر الصناعي الذي معناه التعدد Multiplicité . ولا لزوم للحرص في غير محله على ترجمة كل اسم علمي منخوت من كلمتين او اكثر ، بكلمة عربية واحدة ناقصة لا تؤدي معنى ذلك الاسم العلمي . وأمثلة هذه الكلم العربية الناقصة كثيرة في مجلة مجمع فؤاد الأول وسأذكر بعضها فيما يلي .

(٥٠) القطار الفاخر . - ج ٢ ص ١٢٤ الفاخر Train de luxe . قلت الصحيح القطار الفاخر . فأنت لا تقول ركبت الفاخر ولا نزلت من الفاخر ولا مرّ الفاخر بل لا بد لك من ذكر القطار في كل من هذه الجمل . وهكذا الحال بالفرنسية .

(٥١) القطار السريع والقطار الوقاف . - ج ٢ ص ١٢٤ السريع Express والوقاف Train-omnibus قلت يقال للأول القطار السريع وللثاني القطار الوقاف للاسباب التي ذكرتها في المادة السابقة .

(٥٢) أحادي الخلية . - ج ٢ ص ١٨٨ الأحادي - الأحادي الخلية Unicellular قلت الترجمة الصحيحة هي أحادي الخلية . أما أحادي فلا وجه لها بتاتا للأسباب التي مر ذكرها . واذا اعترض أحدهم بقوله إن لفظة (أحادي) هنا تصبغ في الاستعمال

علمًا لأحادي الخلية ، أجنبناه بأن ذلك غير وارد . فأحادي لفظ ينعت به أسماء عديدة ، فلا يجوز أن يكون علمًا لأحدها . مثاله Unicole أحادي الساق او وحيد الساق و Unicolore أحادي اللون و Unicorne أحادي القرن و Unisexuel أحادي الشق الخ الخ . فبأي هذه الأسماء العديدة يجب ان نخص لفظ أحادي على رأي المتخذين ؟ ولماذا نجعل الأحادي علمًا لأحادي الخلية ولا نجعلها علمًا لعشرات الأسماء الاخرى ؟

(٥٣) شوكيات الجلد . - ج ٤ ص ٥٥ الشوكيات Echinodermata . قلت هي شو كيات الجلد . وقد كنت ذكرت الشوكيات وشوكيات الجلد جميعاً في مقالي الذي عنوانه (الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا) والمنشور في عدد أيار (مايو) سنة ١٩٣٥ من المقتطف . لكن الأصح شو كيات الجلد . أما شو كيات وحدها فناقصة . ومع هذا ربما التمس لها وجه ، خلافاً للكلمة السابقة .

(٥٤) النقيعيات . - ج ٤ ص ٤٩ النقيعيات Infusoria . قلت الصحيح النقيعيات نسبة الى النقيع اي المنقوع . وقد سُميت هذه الحيوانات المنجهرية بالاسم المذكور لأنها تكثر في نقيع المواد النباتية والحيوانية وتغذي بها .

(٥٥) سرعوبيات . خزريات . سمثوريات . - ج ٤ ص ٥٢ : العرسيات mustelidae . قلت كلمة العرسيات هنا منسوبة الى ابن عرس . ولكنها قد تكون أيضاً منسوبة الى عرس وهي لبؤة الأسد . ويعرف اللغويون ان اسماء المعرفة المركبة كابن عرس وابن آوى لا تنصرف ، وانه يكره فيها (أولا يجوز في رأي بعضهم) فصل (ابن) عن (عرس) وعن (آوى) . ومن المعروف ان النسبة الى المضاف اليه فيها صحيحة . ولكن ما للمجمع ولهذا التعرض للالتباس بأن تكون العرسيات نسبة الى ابن عرس والى عرس جميعاً ، وقد سهل عليه صاحب معجم الحيوان الأمر بقوله فصيلة السراعيب ثقلاً عن الأب أنستاس بأن السرعوب هو ابن عرس كما في كتب اللغة . فكان على المجمع أن يسمي الفصيلة مرعوبيات . أما انا فأرجح خزريات

أودَ لَقِيَاتِ او سموريات لأن الماز والدلق والسمور من جنس *Mustela* الذي تنسب إليه الفصيلة . اما ابن عرس فهو من جنس *Putorius* القريب من الاول .

(٥٦) الأموال الموقوفة لا الموات . — ج ٤ ص ١٥٠ : الأموال الموقوفة

(*Mortes*) *Biens wakfs* قلت كلمة *Mortes* الفرنسية زائدة وفي غير محلها ، لأنها في قانون الاراضي تدل على نوع من الأرضين تسمى بالعربية الخالية والمباحة والموات ، وبالفرنسية *Immeubles libres* و *Terres mortes* أما الأموال الموقوفة فشيء آخر معروف . وليس هنا مجال تعريف هذه الأشكال من الأموال وتفريق بعضها عن بعض .

(٥٧) الطحلب والأشنة والحزاز . — ج ٤ ص ١٧ الطحالب (*Alga* (Pl. *Algae*))

قلت لقد خلط العرب في القديم كما خلطنا في الحديث مدلولات *Algue* و *Mousse* و *Lichen* بعضها ببعض . وقد انعمت النظر كثيراً في هذا الموضوع وكتبت فيه بضع صفحات . وانتهيت الى ان اصلح ترجمة للكلمات الفرنسية الثلاث المذكورة هي طحلب *Mousse* وأشنة *Algue* وحزاز او حزاز الصخر *Lichen* .

(٥٨) سنبيلة . سفاة . شعاعة . — ج ٤ ص ٥٨ الشوكة *Spicule* . قلت

الكلمة الفرنسية من *Spicula* اللاتينية أي السنبيلة تحقير سنبلة . وهي تطلق على قطع صغار صلاب كلسية او صوانية او قرنية على شكل إبرة او شوكة او صليب او نجمة او مرصاة او غير ذلك . ومنها يتألف هيكل الاسفنج . وتوجد في غير الاسفنج كالشعاعيات . فسمية واحدها بالشوكة غير مستحسن ، لأن الشوكة تستعمل لمسميات أخرى نباتية وحيوانية ذكر المجمع أحدها في ج ٤ ص ١١٩ فقال (شوكة — *Spine*) ، ولأن هذه القطع قد تكون غير شائكة في بعض الحيوانات . فعلى هذا يرجح اما ترجمة *Spicule* بسنبيلة ، واما استعارة كلمة سفاة او شعاعة وهما بالفرنسية *Barbe* اي ما نسميه حسك السنابل في الخنطة والشعير وهما أصلح .

(٥٩) الجبلة . — ج ٤ ص ١٢ الجبلة الحيوانية *Sarcode* . قلت في معجم

التاريخ الطبيعي الذي كنت اشترت اليه ان هذه الكلمة مرادفه لكلمة Protoplasme اي الجبلة . فتكون لفظة الحيوانية زائدة .

(٦٠) جدار الخلية . - ج ٢ ص ١٣٨ القيض - جدار الخلية Cell wall . قلت هو جدار الخلية . اما القيض فقشرة البيضة اليابسة . ووضع كهذا على التشبيه لا يجيزه احد . وكنت متفقاً والدكتور امين باشا المعروف على هذا الرأي . واضنه قد سبقني الى بيانه في المقطف .

(٦١) شذاة لاسعة . - ج ٤ ص ٥٦ العذام البقري glossi na morsitans . قلت هذه الحشرة من فصيلة الذبابان Muscides ورتبة ذوات الجناحين من الحشرات . اما العذام فهو بالعربية البرغوث (القاموس) . والبرغوث من فصيلة البراغيث Pulicids عديمات الاجنحة ، فهو بعيد عن الذباب . ولهذا وجب ان نفتش عن كلمة مهجورة من كلمات الذباب فنطلقها على هذه الحشرة التي تسمى ذبابة تسي تسي Mouche Tsé - Tsé والتي توجد في افريقيا ولا توجد في بلاد العرب . فاذا راجعنا المخصص نجد فيه ان الشذاة (ج شذاً) ذبابة تلسع الابل والكلاب والخيول وانها اسم عام على الذباب الخ . ولما كانت هذه الكلمة مهجورة على ما نعلم جاز لنا اطلاقها على جنس الذبابة التي نحن بصددنا . وننعتها باللاسعة دلالة على نوعها وترجمة للكلمة العلمية الدالة على النوع . ولا وجد لنعتمها بالبقرية لأن هذا النوع يلسع البقر وغير البقر من الحيوانات الدواجن .

وعلى ذكر هذه الذبابة نقول ان المجمع وضع كلمة عذاميات امام Trypanosomes واذا جوزنا هذه التسمية يصبح اسم هذه الحيوانات المجهريّة شذويات اي الحيوانات التي تنقلها ذبابة الشذاة . وهو يخرج بعيد عن الصواب . فلا الشذويات ولا العذاميات بصالحين للدلالة على الحيوانات المذكورة . والأصلح ترجمة المعنى الاصلي لاسمها الفرنسي فهو من اليونانية Trupanè أي بريمة ومثقب وأشرة وطوى وغيرها ، ومن Sôma اي جسم . فعلى المجمع اذن ان يسميها برميميات او مثقييات او أشريات . ولعل الثانية أصلحها .

(٦٢) بعض الغلطات المطبعية :

صواب	خطأ	جزء وصفحة
Sciuridae	Scuridae	٥٢ — ٤
vert émeraude	vert émraude	٢٣ — ٤
Crustacea	Crustocea	١٥٤ — ٢
العالم الطفيلي	العالم الطمائي	٥١ — ٤
البنقراس	البنقراس	١٤ — ٤

الخ . والبنقراس هذه نكتب بياء قبل الألف اي بنقرياس . ثم لا لزوم لها مادام يعرف لمدلولها اسماء عربية كالحلوة والمقعد .

عود الى علم الحياة . — زارني أحد الاساتيد النبهاء وقال لي انه لم يتبين الفرق بين قولنا علم الحياة وعلم الأحياء بمعنى Biologie . وكان امامي كتاب فرنسي في علم الخيل أقرأ فيه بحثاً بعنوانه Biologie du cheval . فقلت له دع جميع الاسباب الجوهرية التي سردتها في أول كلمة من كلمات بحثي هذا^(١) وأجيني بماذا تترجم هذا العنوان ؟ أو نقول معي علم حياة الفرس وهي الترجمة الصحيحة لفظاً ومعنى ، ام نقول مع مجمع فؤاد الأول علم أحياء الفرس ، او علم الفرس الأحيائي ، او علم الأحياء الفرنسي ، او علم الاحياء المقتصر على الفرس او غير ذلك من التعابير التي تبعد عن الحقيقة ؟ فاكتفي الاستاذ بهذا المثال .

وقد وجدت اخيراً اصطلاحات أخرى فيها نظر ربما ذكرتها في الاجزاء التالية . وأعود فأقول ان مجمع فؤاد الأول قد خدم العربية خدمة جلي ، وان امامه مجالاً لاصلاح الاغلاط وتعديل المصطلحات وفاقاً لقراره الحكيم في هذا الصدد . وفقنا الله واياه لخدمة لغتنا الضادية .

مصطفى السراجي

(١) انظر ذلك في عددي ايار وحزيران من هذه السنة .

كلمة الاشتيام

قرأت في الصفحة ٢٤٥ من الجزء ٦ من المجلد ١٧ من مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق كلمة للاستاذ المغربي عنونها: كلمة الاشتيام في شعر البحتري . ولقد رأيتُه أغرب في مواطن من هذه الكلمة منها

- ١ - جعله احمد بن دينار رئيس المركب ورئيس الملاحين .
- ٢ - قوله ان البحتري أطلق لفظة الاشتيام على احمد .
- ٣ - تهكمه بيت البحتري الذي فيه لفظ الاشتيام وتشبيهه اياه بقول القائل
كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولم ماء
- ٤ - قوله وليس شأننا في هذه العجالة ان ننقد ما عاث في شعر البحتري من الأغلاط وانما شأننا تحليل كلمة الاشتيام الواردة في شعره .
- ٥ - وهو أغرب ما فيها ما تكلفه من الوجوه لجعل الاشتيام محرفة عن الاثناء . ولا بد لايضاح الحقيقة الناصحة بحسب ما نراه من ذكر امور تبين بها قيمة هذا البيت وقيمة القصيدة التي هو منها وقيمة الشاعر الذي نظمها .

البيت

ورد هذا البيت بروايات مختلفة فقد جاء في ديوان البحتري المطبوع في بيروت على هذا الوجه .
بغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر
وهو الذي ذكره الاستاذ في كلمته هذه . ورواه ابو العلاء في عبث الوليد ص ١٠٣
والشريف المرتضى في أماليه ج ٣ ص ٥١ . دون الاشتيام . وفوق السماط . ورواه
ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ دون الاستنام . وفوق السماط . وروى
صاحب نهاية الارب في ج ٦ ص ١١٩٧ اكثر هذه القصيدة ولم يذكر هذا البيت .
ومما لا شك فيه ان في رواية العسكري دون الاستنام تحريفاً من النساخ . وان
أقرب الروايات الى براعة البحتري وحذقه رواية المعري والمترضى . دون الاشتيام

تفسير البيت

غض - يقال غض بصره وطرفه اذا خفضه وكسره ويقال غض طرفه اذا دأى بين جفونه ونظر . وغض الطرف بهذا المعنى من الصفات المحمودة في الحديث كان اذا فرح غض طرفه أي كسره وأطرق ولم يفتح عينه . بفعل ذلك ليكون أبعد من الأثر والمرح . ويقال فلان غضيض الطرف نقي الطرف والعرب تمدح بهذه الخلة قال الفرزدق:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته

وأغضي وغض بمعنى واحد أي دأى بين جفونه . وغض الطرف بين يديه العظيم اشارة على الطاعة وحسن الادب وقد قال ابن عباس في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى . ما زاغ البصر يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به . وعلى هذا المفسرون . وقال ابن قيم الجوزية في التبيان ص ٢٦١ نفى عن نبيه ما يعرض المرأى الذي لا أدب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكامل الادب في ذلك المقام اذ لم يلتفت جانباً . . . بل قام مقام العبد الذي أوجب ادبه اطرافه واقباله . . . وهو مع ذلك يدل على عظمة من بغض الطرف دونه .

الاشتيام

ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من أهل اللغة لم يذكروا كلمة الاشتيام وان البحرين الذي يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام ولم يجزم بأنها عربية او اعجمية وانما قال اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وهمزتها حينئذ همزة وصل وبين وجه التسمية بالمصدر . وان كانت اعجمية فهزتها همزة قطع وعلى الاول يكون في البيت زحاف . هذا كل ما ذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الاصل وانما هي من وضع المتأخرين .

وقد قال صاحب اللسان الاشتيام رئيس الركاب وفي التاج رئيس الركاب والملاحين

السماط

جاء السماط بمعنى جانب الشيء وبمعنى صدر الوادي الى منتهاه وبمعنى الصف من الناس يقال قام القوم حوله سباطين اي صفين وكل صف من الرجال سباط

وقد ذكرنا ان البيت روي على وجهين . وقوف السماط . وفوق السماط
ونزبدا الآن ان فاعل بغضون في هذا البيت لم يتقدم له مرجع معين في كلام البحري فان
كان يريد الملاحين فهو يصفهم بالادب وغض الطرف امام رئيسهم ووقوفهم له وقوف
السماط بين يدي الامير العظيم احتراماً له هذا على الرواية الأولى : وقوف السماط
وهذا معنى غير غث ولا مستهجن لأن المعروف ان الذين يقفون سماطاً للامير
يتأدبون أمامه ويعظمونه حتى جعلوا مثلاً على ما تبين لك من كلام ابن القيم السابق
والملاحون قد يكونون على غير هذا الوجه ولذلك مدح البحري هؤلاء ونعتهم
بما يدل على الادب والاحترام امام الاشتيام .

وعلى الرواية الثانية : وقوف السماط يكون المعنى انهم بغضون ابصارهم في
موضعين امام رئيسهم الاشتيام . وبين يدي الامير فوق السماط اي جانب السفينة
او ما بين صدرها ومنتهاها .

وان كان البحري يريد الجند والمقاتلين الذين معه في السفينة فهو يصفهم
مع شجاعتهم باحترام الاشتيام وغض العيون بين يديه ووقوفهم له وقوف السماط
للامير على الرواية الاولى . ويصفهم بغض العيون في موضعين كما تقدم على الرواية
الثانية . وقد جاءت كلمة دون بمعنى امام وقدم

ومثل هذا التشبيه لا ينكر ولا يعاب الا ترى انك لو قلت تلاميذ فلان او بنو
فلان يقفون بين يدي استاذهم او ابيهم وقوف السماط للامير العظيم وبغضون ابصارهم امامه
لكان ذلك حسناً مستحسنًا . ومن هذا يتبين لك ان بيت البحري هذا لا يشبه قول
القائل : (كأنا والماء من حولنا) بوجه من الوجوه على أي تأويل أولته او محمل حملته

الاعلاط في البيت او القصيدة او شعر البحري

اذا تأمل الانسان قول الاستاذ وليس من شأننا في هذه العجالة ان نقدر
ما عاثر في شعر البحري من الاعلاط خيل اليه ان شعر البحري كله غل
قمل او جرح نفل او أديم تعيث فيه الديدان والقردان . وقد استعرضت ابيات هذه
القصيدة كلها وأعدت النظر فيها مرة بعد أخرى فما رأيت فيها شيئاً من الغلط ولا
من السقط وانما كنت أرى في كل بيت نوعاً من الروعة والجمال يخيل الي ان

الحسن انتهى اليه ووقف عنده فماله متقدم عنه ولا متأخر فاذا انتقلت الى البيت الذي يليه انتقل هذا الظن اليه واعتقدت فيه ما اعتقدته في سابقه فلما انتهيت الى آخر القصيدة وجدتها كأنها حديقة غناء تضم انواعاً من الازاهير الجامعة بين الألوان الرائعة والريح الطيبة وفيها من حسن الترتيب والتنسيق والبراعة في الصناعة ما لا يستكثر مثله على البحثري ولا يتأتى لغير البحثري

القصيدة في رأي المتقدمين

ولقد رأيت مثل ما رأيت وفوق ما رأيت في هذه القصيدة من الروعة والدقة والاحكام والجودة وجمال الديباجة وحسن التشبيه والاستعارة وغير ذلك من ضروب المحاسن وأنواع الحسنات جماعة من المتقدمين من اعلام الادباء وجلة العلماء العارفين دقائق الصناعة والواقفين على اسرار البلاغة منهم عبد الله بن المعتز وابو هلال العسكري والشريف المرتضى واخليفة المكتفي بالله وجماعة كثيرون .

قال ابو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني ج ٢ ص ٦٣ ولم يصف احد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب الا البحثري أخبرنا به ابو احمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحثري الا قصيدته السينية في وصف ابوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها . وقصيدته في البركة . ميلوا الى الدار من ليلي نحيبها . واعتذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها وقصيدته في دينار^(١) بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه احد قبله اولها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) ووصف حرب المراكب في البحر لكان اشعر اهل زمانه فكيف اذا اضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه وكان كثيراً ما ينشد له ويعجب من جودته

غدوت على الميمون صباحاً وانما غدا المراكب الميمون تحت المظفر
اذا زجر النوتي فوق علته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر
بغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر

(١) كذا في ديوان المعاني .

وقال في نهاية الارب ج ٦ ص ١٩٧ بعد ان نقل شيئاً من كلام العسكري . .
 وعدوا قصيدته هذه من عيون قصائده وفضلوها على كثير من الشعر . . .
 اما شعر البحري فمن الاسراف ان نذكر ما قاله العلماء والائمة في مدحه واطرائه
 وكتب الادب طائفة بما يغنيننا عن الاطالة فيه وهذا ما حملنا على ان ننكر على
 الاستاذ المغربي كلمته المتقدمة على ما فيها من الايهام والايهام
 ويزداد انكارنا عليه في هذه القصيدة المقولة في غرض لم يتقدم ابا عبادة احد
 من الشعراء في ابتكاره ولم يشق احد من المتأخرين غباره فيه .
 واذا استطاع ابو العلاء واضرا به ان يعثروا على بعض الخطأ في كلام البحري .
 فليس ذلك بمسوخ ان يقال ان الاغلاط تعيث في شعره والمثل يقول لا تعدم الحسنة
 ذاما والآخر يقول كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

أما ما ذكره ابو العلاء في عبث الوليد في هذا البيت فخلاصته ان لفظ الاشتيام
 اذا كان عربي الاصل فان همزته همزة وصل وعلى هذا التقدير فان في البيت
 زحافاً . ونحن نقول يلزم على التقدير المذكور أحد امرين اما قطع همزة الوصل
 في اشتيام وحينئذ يسلم الحشو من الزحاف ويبقى في العروض وهو واجب . واما
 ابقاؤها وصلية وحينئذ يكون الجزء الثاني من الحشو والعروض مقبوضين . وكلاهما
 وقع في كلام المتقدمين اما الاول فكقول قيس بن الخطيم

اذا جاوز الاثنين سر فانه بنت وتكثير الوشاة قمين

وقول جميل

ألا لا أرى اثنين احسن شيمة على حدثان الدهر مني ومن جميل

وقول الآخر

مناقب في الجلاح كانت قديمة فسار عليها ابته بتتبع

وأما الثاني فكثير في كلام العرب كقول امرئ القيس في معلقته

أصاح ترى برقاً أربك وميضه كل مع اليدين في حي مكل

ومر على القنات من نفيانه فأنزل منه العصم من كل موئل

وقوله في سينيته

مفرثة زرقاً كأن عيونها من الذمروالايحاء نوار عخرس

وقوله في تائيته

وعفس كألواح الايران نساتها على لاحب كالبرد ذي الحبرات

وقوله في رائيته

كأن صليل المروحين تشده صليل زبوف ينتقدن بعقرا

وقوله في ضاديه

وقد اغندى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيض

وقوله في نونيه

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان

وقوله في بائيته

كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم ينقب

وقوله في لاميه

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل نخيلي كرى كرة بعد اجفال

وقول طرفه

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقول النابغة في بائته

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار اجر

وقوله في عينيه

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ابي المتتأى عنك واسع

وقول الشنفرى

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل

وقول زهير في معلقته

سئمت تكاليف الحياة ومن بعش ثمانين حولاً لا ابالك يسأم

الى غير ذلك من الآيات التي لا تكاد تحصى وكلها وقع فيها قبض العروض والحشو الذي قبلها كما وقع في شعر البحثري على تقدير ان الاشتيام عربية وقيل سملت قصيدة للمتقدمين والمتأخرين من ذلك ومنهم ابو العلاء واذا وعيت ما ذكرنا انضح لك ان ابا عبادة احتذى على مثال الشعراء المنفلقين وطبع على غرار النوابع المفيقتين . وان بيته هذا لم يعث فيه شيء من الاغلاط

أما قول الاستاذ المغربي . [احتمال ان تكون الاشتيام عربية احتمال بعيد . واستدلالة على ذلك بأمرين الأول ان المعاجم لم تذكر في مادة شام ان الاشتيام اسم لرئيس المركب . . . والثاني ان اشتام البرق لم يرد بمعنى شامه فهي في غالب الظن اعجمية . . .]

ففيه نظر من وجوه منها ان كتب اللغة لم تحط بكل مفرداتها وكثيراً ما استدرك اللاحق على السابق ومنها ان اكثر كتب اللغة لا تستوفي ذكر المشتقات . ومنها ان اللغويين كثيراً ما يغفلون ذكر الكلمة في مادتها ويذكرونها في غيرها عرضاً أما الأول فلا يحتاج الى تمثيل ولا الى اقامة دليل وأما الثاني فمثاله لفظة تكشر فانها وردت في قول الفرزدق

فقلت له لما تكشر ضاحكاً وقائم سيني من يدي بمكان

ولم يذكرها اللسان ولا القاموس ولا التاج ولا الصحاح ولا المصباح ولا الاساس ولا النهاية ولا مخار الصحاح ولا مفردات الراغب ولا . . . ولا . . . مع أنها مشتقة من المزيد على الثلاثي بحرفين

ومثال الثالث لفظ الخصائص فقد ورد في نهج البلاغة في خطبة لعلي رضي الله عنه وسمى به جماعة من العلماء كتبها لم منها : خصائص في فضل علي رضي الله عنه للنسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ومنها خصائص الطرب لكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ ومنها الخصائص لابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ ومنها خصائص السواك لأبي الخير احمد القزويني ومنها الخصائص النبوية للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وغيرها .

وان أصحاب كتب اللغة المذكورين آنفاً لم يذكروها في مادة خص . وانما ذكرها

كل من صاحب اللسان والتاج والنهاية في مادة ضن فهي شبيهة بالاشتيام من هذا الوجه ولو كان ابو العلاء يعلم انها غير جائزة لذكر ذلك عند كلامه على هذا البيت وإذا كان ابو العلاء يجهد على شدة اضطراره وسعة اطلاعه وطول باعه فان رحمة الله التي وسعته لا تضيق عن البحري اذا جهلها وهو أقل منه اطلاعاً على اللغة وانزر حفظاً لفصيحتها وغريبها .

على ان الاستاذ المغربي ذكر في مقاله هذه لفظ تحليل في ص ٢٤٦ سطر ٢ و ١٤ وأعادها في ص ٢٤٧ سطر ٤ وكذلك ذكر لفظ المعاجم ص ٢٤٦ سطر ٣ وص ٢٤٧ س ٦ وذكر لفظ العجالة ص ٢٤٦ س ١ ولم يذكر احد من اللغويين الذين سبق ذكرهم واحداً من تلك الالفاظ بالمعنى الذي يريد الاستاذ منه ولا وقع في كلام أحد من يوثق بعريته فهلا وسع البحري في كلمة واحدة ما وسع الاستاذ في ثلاث كلمات وكلمة البحري أقرب الى الصحة منهن . واذا كانت الاغلاط تعيث في شعر أبي عبادة من أجل كلمة واحدة فماذا يجب ان يقال في مقال الاستاذ وفيه اكثر من كلمة والبحري في شعره مقيد بوزن وقافية وليس في قصيدته شيء من كلام غيره وبهذا القدر يظهر ان الاستاذ أسرف في الغرض من كرامة البحري واشتط في الحكم عليه وعلى شعره . هذا ما يتعلق بالاشتيام والبيت الذي ذكر فيه والقصيدة التي هو منها

هل كان أحمد بن دينار رئيساً للملاحين

ذكرنا ان الاستاذ المغربي جعل احمد بن دينار رئيس المراكب مرة ورئيس الملاحين أخرى وقال . ان البحري اطلق لفظ الاشتيام عليه . ولم أر احداً ذكر ان احمد بن دينار كان رئيساً للملاحين في المراكب وان ما وقع في كلام القوم لا يدل على ذلك . فقد قال الشريف المرتضى انه غزا الروم في مراكب . ولا يتأتى بحسب العرف ان يكون رجل واحد رئيساً للملاحين في مراكب بل في مراكب واحد وفي ديوان البحري . وقال يمدح احمد . . . ويصف مراكباً كان اتخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم .

وقال البحري في هذه القصيدة . . . ولما تولى البحر . . . وحولك ركابون
للهول . . . تميل المنايا . . . اذا أصلتوا حد الحديد . . . اذا رشقوا بالنار . . . صدمت
بهم صهب العثانين . . . تقارب من زحفهم . . .

والمعروف ان الذي يقاتل في البحر أمير الجند بالجند لا رئيس الملاحين بالملاحين
لأن هؤلاء يعملون في تسيير السفينة لا في مقاتلة الاعداء

وكثيراً ما وقع في كلام المتقدمين . غزرا فلان البحر وغزرا فلان جزيرة كذا
وهم يريدون انه كان أميراً او رئيساً للغزاة لا للملاحين قال ياقوت ارواد جزيرة
غزرها المسلمون مع جنادة في أيام معاوية . وقال احمد بن جابر غزرا جنادة بعد
فتح جزيرة ارواد اقريطش . وقال ياقوت غزرها حميد بن معيوف . وقال ياقوت
غزرا معاوية قبرس ورودوس . ولم نجدنا التاريخ ان معاوية كان ملاحاً ولا رئيساً للملاحين
فاذا عرفنا هذا تبين لنا ان احمد بن دينار كان والي البحر ورئيساً او أميراً
على الجند الذي كان يحارب به الروم وليس رئيساً للملاحين ولا اشتياماً

جعل أشنا أصلاً لاشتيام

لقد أفاض الاستاذ في البحث عن أصل كلمة اشتيام وردها الى اشنا الاعجمية
ولكن ما ذكره من المراحل التي قطعها هذه الكلمة في نشأتها وما تعاقب عليها من
الأطوار من تنكير وتعريف وتغيير وتحريف وزيادة ونقص وتحويل الحمزة الى
ميم ذات ذنب قصير ونحو ذلك من ضروب العمليات كله قائم على الظن لا يعهد له
نظير فيما عرب من الالفاظ الاعجمية ولو ساغ مثل هذا في الاشتيام لجاز لنا ان
نقول انها محرفة عن الاستييار بمعنى الامتياز او الاستييار المأخوذة من معنى السير .
او الاشتييار بمعنى أخذ العسل من خلاياه او . او . . .

ولكان جعلها محرفة عن مثل هذه الكلمات أقرب الى فهم ما يراد منها وأقل
تكلفاً وتغييراً وتحويلاً مما ذكره .

على أننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا
التأويل والتطويل هذا ما بدالي في كلمة الاشتيام وعسي ان يكون بريئاً من
الغلط بعيداً من الشطط ان شاء الله تعالى

سليم الجندي

ردنا على المقال السابق

من أسوء ما نشكو ونألم منه عقم مناظراتنا العلمية . واصرافنا عنها الى الاطالة في ما لا علاقة له بموضوعها . ولا يحقق الغرض منها . ويكاد يكون ردُّ الاستاذ الجندي علينا من أوضح الأمثلة على ذلك :

كتبنا اربع صفحات في الجزء الماضي مهدنا فيها الطريق الى الاستنتاج بالزملاء على معاونتنا في تعيين اللغة التي أخذت منها كلمة (الاشتيام) الواردة في شعر الجعدي ان كانت أعجمية . ومن أي مصدر اشتقت إن كانت عربية . فكتب الاستاذ الجندي زهاء عشر صفحات لا في معاونتي على ما طلبته منه وانما هو (فتح جيهايات) جديدة في الجدل حول مسائل لغوية وأدبية وعروضية وتاريخية لنافذة لموضوع مقالتي فيها ولا حمل . ولا يخطر في بال أحد أن أكون ممن يشك أو ينازع فيها . وفوق ذلك ان الاستاذ نسب الي أشياء لم أقلها : مثل أن في بيت الجعدي عيباً عروضياً . ورد علي بان في أشعار البلغاء مثله . وذكر سبعة عشر بيتاً فقط شاهداً على ما قال . وأنا غافل القلب عن هذا البحث بل ربما كنت أعتقد اعتقاده فيه .

أما كلمة (الاشتيام) نفسها التي أتساءل عنها وعقدت مقالتي لأجلها فلم يهتم الاستاذ ذهاباً ولم يرد أن يتعب نفسه في استقصاء البحث عن أصلها او بيان شيء جديد مفيد غير ما قلته ورويته عنها : قلت في مقالتي المذكور ان الاشتيام يكون بمعنى رئيس المركب كما يكون بمعنى رئيس الملاحين وتساءلت أعربية هي ؟ ونقلت عبارة ابي العلاء المعري في (عبث الوليد) وقد صرح فيها باحتمال أن تكون أعجمية . فرجحت أن تكون أعجمية من اصل فارسي . وخطر لي احتمال أن تكون محرفة من كلمة (الآشنا) بمعنى الخبير بالسباحة . ولم ارد بذلك الا تمهيد الطريق بين يدي الباحثين إلى معرفة الحقيقة بدليل ما قلته في ختام مقالتي وهو : (نعتمد على هذا الحل في تحقيق كلمة (الاشتيام) ريثما تقع على نسخ أخرى لأشعار الجعدي ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان تبين منها

حقيقة كلمة (الاشتيايم) واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة (فالاستاذ الجندي مشغل عن معاونتي بنقد كلماتي التي جاءت عرضاً في تمهيدي ومقدماتي . وانتهى من معرفة (الاشتيايم) الى مداورتنا على الجهل بها . وان نبقى على الخبرة من أمرها . بدليل قوله في ختام رده علينا وهذا نصه بالحرف (على اننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل) ثم قال (هذا ما بدالي في كلمة (الاشتيايم) . وبذلك انتهى مقاله .

أما ما ذكره ابو العلاء وقال الاستاذ الجندي ان فيه غنية (او فيه رقية !) فهو قوله ونقله من مقاله (ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من اهل اللغة لم يذكرها كلمة (الاشتيايم) وان البحرين الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب (الاشتيايم) ولم يجزم ابو العلاء بأنها عربية او اعجمية وانما قال : اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وان كانت اعجمية فهزمتها همزة قطع) ثم قال الاستاذ الجندي (وهذا كل ما ذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الأصل انتهى) هذا رأي ابي العلاء الذي ينصح لنا الاستاذ الجندي أن نستغني به ثم لانعيد ولا نبدي . ولكن اساطين تهضمتنا الحاضرة يريدون منا غير هذا التحقيق عن آثار السلف وتحرير نصوصها كي يتسنى لنا ان نبني ادبنا الجديد عليها على مثال ما فعله الاب انتاس الكرملي في تحقيق كلمة (الاشتيايم) : فانه قد ارسل الى ادارة المجمع مقالاً مسهباً لم يخرج فيه عن صدد تجليل تلك الكلمة . وقد وصل الينا مقاله مع مقال الاستاذ الجندي وسنشره له في الجزء القادم . وهذا ما قاله الاب (ان في كتاب العين وهو اقدم معجم عربي مانصه (والاشتيايم رأس ملاحى السفينة وهو بالنبطية اشتياما ا هـ) اي بألف مقصورة في آخره

* * *

آن ان اختم القول وادع الاطالة لثلا اقع في ما نهيت عنه . غير ان هناك ثلاث مسائل أرى من الواجب ان انصف نفسي فيها ما دامت قد حُرمت انصاف الآخرين فاذا كررها بايجاز وهي :

١ - لم أت نكرًا مذ قلت ان الاغلاط تعيث في اشعار البحري وهذا ابو العلاء
 المعري ألف كتاباً خاصاً عدد فيه أغلاط البحري في نحو اربعمائة بيت من شعره
 وسماه (عبث الوليد) . والعبثُ وصفُ سوءِ اشع من وصف الغلط . بل كان (ابو العلاء)
 احياناً يذكر في كتابه اغلاط البحري ويعبر عنها بقوله (عجائب) : عابه في
 زحاف عروضي مرة ثم قال ما نصه (ولأبي عبادة (البحري) في شعره عجائب وما أظنه
 كان يستحسن مثل هذا الزحاف على ان الكسر وجد في ديوانه وهو شرٌّ من
 الزحاف) (راجع عبث الوليد النسخة الفوتوغرافية المحفوظة في المجمع ص ٩٩)
 واذا قلنا ان في شعر البحري اغلاطاً كثيرة لانعي ان كلها منه بل ان
 التليل منها منه والكثير من نساخ اشعاره . واشعاره تبلغ (١٥) الف بيت تعاورتها أبدي
 النساخ اكثر من الف سنة فليس العجيب ان تقع فيها اغلاط بل العجيب أن لا تقع .
 ٢ - بيت :

(بغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السباط للعظيم المؤمر)

ليس فيه تشبيه الشيء بنفسه كذا يقول الاستاذ الجندي . ويكون قوله صحيحاً
 اذا أردنا من معني (الاشتيام) رئيس الملاحين . وهو يرى ان رئيس الملاحين
 واحد منهم فلا يوصف بالعظمة . فيكون المعنى ان الملاحين من فرط تأديبهم
 يحترمون الاشتيام كما يحترم الناس أمراءهم العظام . وهو قول وجيه ومع هذا يمكن
 الرد عليه بأن رئيس الملاحين عظيم في نفوس اتباعه أيضاً فكون شبيها احترامهم
 لعظيمهم باحترام الناس لعظيمهم . وهل هذا الا تشبيه الشيء بنفسه . اما اذا اريد
 بالاشتيام معناه الآخر وهو (رئيس المركب) الذي يدير حركة القنال فيه كان
 المراد به اذ ذاك الامير احمد بن دينار : فقد كان رئيس المقاتلين لا رئيس الملاحين واذا
 ذاك تكون هجئة تشبيه الشيء بنفسه في البيت أبين وأظهر . اذ يكون المعنى ان المقاتلين
 يحترمون رئيس مركبهم العظيم كما يحترم الناس رؤساءهم العظام . وليس البحري
 بمعصوم عن زلة تشبيه الشيء بنفسه : فقد سبق له ان شبه الاتافي بالانافي :
 ذكر ابو العلاء في كتابه (عبث الوليد) أن البحري قال في القصيدة التي اولها :

(أما فات من تلاقٍ تلافٍ أم لشاكٍ من الصباية شاف)

ثم قال: (وأثافٍ أنت لما حججٌ دو ن لظى النار—مُثلٌ كالأثافي)

فاستشكل أبو العلاء تشبيه الأثافي بالأثافي . وأراد الاعتذار والتلافي . فقال (إذا صححت الرواية على هذا فالمعنى كذا وكذا . ثم اخذ في تأويل هذا العبث أو الغلط كما يفعل الشراح إذا رأوا في النصوص ما يدعو إلى تأويلها . ولكن تأويل الغلط لا ينبغي عنه وصف الغلط . وبالجملة فإن بيت البحتري : بغضون الخ إذا لم يكن من تشبيه الشيء بنفسه كما يرجح الاستاذ الجندي فهو قريب منه

٣ - يرى الاستاذ اننا عينا البحتري في استعماله كلمة (الاشتيايم) وهي لم تذكر في كتب اللغة ليتوصل بذلك إلى تقدنا في استعمال كلمات (العجالة) و (المعاجم) و(التحليل) في مقالنا وهي مما لا يعرفه علماء اللغة . أما نحن فلم نعب البحتري باستعمال (الاشتيايم) قط وإنما اشكل علينا أصلها كما اشكل على غيرنا . والكلمات الثلاث المعدودة من اغلاطنا ظاهرة عنا عارها : فالعجالة كلمة فصيحة في المعنى الذي استعملناها فيه . فليراجعها القارئ في الصحاح يجده يقول (العجالة بالضم ما تعجلته من شيء) ونحن استعملناها في ما تعجلناه من الكلام . والكلام شيء : قال سيف (الجوهرة) (والشيء عندنا هو الموجود) . أما كلمة (المعاجم) فقد اصطلح المتأخرون على تسمية كتب اللغة والتراجم بها لأن مواد الكلم فيها مرتبة على حروف المعجم . وهل أحد منا لا يستعمل كلمة معجم ومعجم قولاً وكتابةً . ونسي الاستاذ ما سمي بالمعجم من مصنفات كبار علمائنا كمعجم الأدباء والبلدان ومعجم ما استعجم الخ وان لم نقل معاجم نقل (قواميس) وهل نكون آمنين من النقد إذا قلناها يا ترى ؟

وأما كلمة (تحليل) فاصطلاح علمي قديم وهو جائز الاستعمال من دون تكبير كسائر الاصطلاحات العلمية وليراجع القارئ كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) ص ٣٨٦ فإن فيه ما يدل على ان استعمال كلمة (التحليل) اصطلاح لاسلافنا من أطباء ومناطق وغيرهم وهو عند الكيماويين بمعنى ارجاع المادة الطبيعية إلى عناصرها الأصلية . وقد استعار كتابنا المعاصرون كلمة التحليل واستعملوها في ارجاع الكلمة اللغوية إلى معانيها المعقدة المختلفة . ولم تزل كلمة (التحليل) مستعملة إلى اليوم في

معاهدنا العلمية وعلى السنة اساتذة الكيمياء خاصة . وانفق لي بالامس ان صادفت طالباً تجهيز بيدهما دفتر كيمياء فاذا فيه ما نصه بالحرف (هدف التحليل المباشر هو فصل المركبات المختلفة الموجودة في المواد العضوية بحالة خنيط الخ . ولكل علم حتى علوم الدين اصطلاح لا يعرفه العرب ما سئل اعرابي : اتميز الفارة ؟ أي أتلفظها بالهمزة . قال المرء يهزها . اي يشد عليها لياً ككها . وهذا معنى الهمز في اللغة . ولو سألت ذاك الاعرابي عن اعراب (قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل) لقال متعجباً : إن معناه من الوضوح بحيث لا يحتاج الى اعراب . لأنه يفهم من كلمة الاعراب معناها اللغوي وهو الابانة والافصاح عن الشيء أما معاندا الاصطلاح التعليمي فهو تطبيق القواعد النحوية على جملة ما . وهذا مما يجبهه العرب . وكم تظنون الاستاذ الجندي استعمل كلمة (الاعراب) الاصطلاحية وهو بعلم اللغة العربية ؟ تقولون مئة الف مرة . أقول بل اكثر قليلاً . يستعمل الاستاذ كلمة (الاعراب) بألوف المرات ويلومني على استعمال (التحليل) ثلاث مرات فقط . وهذا ابن أبي الحديد يقول في خاتمة شرحه لنهج البلاغة : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علي بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم الحسوسات وقولهم (الكل والبعض) وقولهم (الصفات الذاتية) وقولهم (الجسائيات) وقولهم (أما اولاً فأحال كذا) ونحو ذلك مما لا يخفى عن له أدنى أنس بالأدب . ولكننا أستهبجنا بتدليل ألفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كرم قوماً كلمهم باصطلاحهم اهـ » . وكنت استفتيت أعضاء مجمعنا العلمي في الكلمات غير التاموسية . ومنها كلمات الاصطلاحات العلمية . فأجمعوا على جواز استعمالها وهم (١٨) عضواً . فيهم الاسكندري والكرهلي والنشاشيبي والخضر . ويكفي ان تذكر اسمائهم فتذكر بجانبها الغيرة الملتبهة على اللغة . وقد سكت بقية الاعضاء عن الجواب على سؤالي ومضى على ذلك عشر سنين فاكتسبت الكلمات الاصطلاحية الصفة القانونية وحق الاستعمال كما يستعمل الكلام الفصيح (راجع مجلة المجمع مجلد ١٢ ص ٥٢٧) و (مجلد ١١ ص ٤٣٢)

المفري

نصاب الاحتساب

١ - تمهيد

ليس الغرض من كتابة هذا الفصل ، أن نتكلم على الحسبة ذاتها ، أو أن نصف ما كان يُنَاط بأربابها من الاعمال والواجبات ، أو ما كانوا يؤديونه لبسلاهم وأمتهم من جليل الخدمات . فتلک أمور قد سبقنا الى البحث فيها جماعة من أفاضل العلماء والكتاب ، فوفوها حقها من العناية بها وتحقيقها .

ونحن نرجمي الى التعريف بأحد التصانيف العديدة الموضوعة في هذا الباب ، ونعني به كتاب « نصاب الاحتساب » الذي وقفنا على بعض نسخه بنفسنا ، وعلى الباقي - وهو الاغلب - بمراجعتنا فهرس المخطوطات العربية لدور الكتب الكبرى في بلدان الشرق والغرب .

٢ - مؤلف الكتاب

جاء في مستهل مخطوطة المتحف العراقي لهذا الكتاب ، أن اسم المؤلف « عمر بن محمد ابن عوض السنائي » . وفي هامش تلك الصفحة ما يفيد أن « السنائي » نسبة الى قرية قريبة من بخارى اسمها سنام .

وقد أغفل كتبة الأناص ، كالسمعاني وابن الاثير والسيوطي ، ذكر هذه النسبة . وقد رجعت الى كتب البلدان ، فألفت بعضها يذكر « سناماً » بكونها قلعة في ما وراء النهر^(١) ، كما وجدت بعضها الآخر يقول إنها جبال هنالك أيضاً^(٢) . والغريب ، أن لفظة « السنائي » قد تلاعبت بها أيدي النساخ أتيماً تلاعب ، فجعلتها تقرأ في أوجه متغايرة : فهي في بعض النسخ « السنائي » وفي بعضها الآخر

(١) كتاب البلدان لابن الفقيه الحمذاني (ص ٣٢٢) . ومعجم البلدان (٢ : ٢١٠ و ٣ : ١٥٥ من طبع الافرنج) . ومراسد الاطلاع لابن عبد الحق (٢ : ٥٦ من طبع الافرنج أيضاً) . (٢) الاغلاق النقية لابن رسته (ص ٩٣) .

« الشامي » أو « الشافعي » أو « الشيامي » أو « السنائي » أو « النسامي » . . . ! وغير خاف ، أن هذه الالفاظ كثيراً ما يلبس بعضها ببعض ، خاصة إذا أهمل إجماعها .
وعلى كل حال ، « انا نرى أن « الشافعي »^(١) أبعدن عن الصواب ، خاصة بعد أن صرح الحاج خليفة^(٢) بأن المؤلف حنفي كما سند كره .
أما ترجمة المؤلف ، فلم تقف على أثر لها في المظان التاريخية أو تراجم رجال الحنفية التي بيدنا . وقد أسلفنا القول إن الحاج خليفة ذكر أنه كان حنفيًا ، غير أنه سكنت عن ذكر سنة وفاته .

وفي الصفحة ١٤٠ من المخطوطة المذكورة هذه العبارة : « قال العبد^(٣) أصلحه الله تعالى : وقد ظفرتُ على هذا الحديث [كذا] بعد ان كنتُ اجلس للعامة في المنابر بتوفيق الله عزَّ وجلَّ ، أكثر من ثلاثين سنة . . . »

ففي هذه العبارة ما بوضح ناحية من حياة المؤلف التي قضى منها نحو ثلث قرنٍ - وهو شطر لا يستهان به من حياة الانسان - في المنصب الذي ذكره .

وقد بدا لنا من مطالعة الكتاب ، ان المؤلف كان متوفرًا على بحثه متمكنًا من موضوعه ، وانه كثيراً ما يستشهد بأراء غيره ، ثم يردُّ على بعضها فيما يرى انه الأصح . وفي مطاوي الكتاب ، فقرات ذات علاقة بالمؤلف ، منها قوله^(٤) :

« قال العبد أصلحه الله : فبهذا الحديث^(٥) عملتُ في وقت اشتغالي بشيء من الحسبة ، فكنتُ امرتُ ان لا يترك في المسجد الجامع يوم الجمعة صبي ولا مجنون ولا شيء يباع من الماء والمروحة والمسواك وغير ذلك مما كان جرت العادة ببيعه قبل ذلك» .
أو قوله^(٦) :

- (١) نسخة خزائن نور عثمانية باستانبول (وهي برقم ١٨٨٤) .
(٢) كشف الظنون (٦ : ٣٢٥ طبع لندن ، او ٢ : ٦٠٠ من طبع استانبول) .
(٣) قصد المؤلف بهذا نفسه . وهو يردُّ هذه العبارة كلما أبدى رأياً خاصاً في مسألة من المسائل او عقب على رأي لغيره . (٤) مخطوطة المتحف العراقي (ص ٣١) .
(٥) الحديث هو هذا : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم ويحكم وشراءكم وإقامة حدودكم » . (٦) المخطوطة (ص ٢٦) .

« قال العبد أصلحه الله : ولذلك كنتُ أمنع الجصاصين عن اتخاذ مطبخ الجص بين سوق البزّازين » .

وكم تكون قيمة هذين النصين عظيمة ، لو ان المؤلف عين اسم البلدة التي ذكر مسجدها الجامع ، او سوق البزّازين فيها ؟
وي لوح لنا من بعض عبارات المؤلف ، انه كان صريحاً جريئاً ، لا تأخذه في قول الحق لومة لائم . انظر قوله (١) :

« وما سنه القضاة في بلادنا الآن ، ظلم صريح ، وهو أن يأخذوا من الانكحة شيئاً ثم يميزون اولياء الزوج والزوجة بالمناكحة ، فانهم ما لم يُرضوا بشيء من اوليائها لم يُميزوا بذلك ! »

او قوله الآخر الذي يندد فيه بخطباء عصره (٢) :

« وفي هذا الزمان نرعان من منكرات الخطباء : أحدهما انهم يقولون في مخطبتهم من كلماتٍ يجب النهي عنها ، والثاني انهم يلبسون طيالة (٣) الحرير والنهي عنها واجب » .

او قوله الآخر فيهم (٤) :

« سئل داود الظاهري (٥) رحمه الله تعالى عن الخطباء الذين يخطبون على المنابر يوم الجمعة ما قالوا في القاب السلطان فانهم يقولون : السلطان العادل ، والسلطان العالم الأعظم ، شهنشاه الأعظم ، مالك رقاب الأمم ، سلطات الارض ، مالك بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة الله . هل يجوز ام لا ؟ قال : لا يجوز على الاطلاق والتحقيق ان بعض هذه الألفاظ كفر وبعضها كذب . . . » .

(١) المخطوطة (ص ٢٧) . (٢) المخطوطة (ص ٣٩) .

(٣) الطيالة : واحدها الطيلسان . ضرب من الاكسية . يقال : تطلست بالطيلسان وتطيلست . واللفظة فارسية الاصل وفي كتاب « الالفاظ الفارسية المربة » لأدبي شير (ص ١١٣) انه « كساء مدور اخضر لا اسفل له » ، لحمته او سداه صوف . يلبسه الخواص من العلماء والشايع » .

(٤) المخطوطة (ص ٢٠) . (٥) فقيه اصبهاني الاصل ، قدم بغداد فسكنها وصنف كتبه

بها . . . مات سنة ٥٢٧٠ هـ . وترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨ : ٣٦٩ - ٣٧٥) .

أو استمع إلى نقده لأحوال سلاطين عصره حين يقول (١) :

« قال العبد أصلحه الله تعالى : ومن الظلم المعروف من السلاطين انهم يضربون دراهم في نوبتهم ويروجونها بين الناس بأكثر من قيمتها ، فاذا انتهت نوبتهم عادت قيمتها إلى قدرها فيتضرر بها كثير من الناس . فانهم خصموا على ذلك الظالم يوم القيامة » .
أو قوله الآخر (٢) :

« وكان بشر (٣) رحمه الله تعالى يقول : ثقيل يد المؤمن (٤) فسق .
قال العبد أصلحه الله تعالى : فلو كان بشر حياً في زماننا ويرى افعال أئمتنا عند دخولهم على ذي سلطان ، ماذا يقول في شأنهم ؟ ولما كان ثقيل ايديهم هكذا ، فكيف يكون ثقيل ارجلهم ؟ واسوأ من ذلك ثقيل حافر الفرس إذا اعطى السلطان واحداً فرسه ! » .

أو انظر إلى انتقاصه المجتمع وانتقاده ما كان يغلب عليه من جهل وخرافات ، حين يقول (٥) :

« قال العبد أصلحه الله تعالى : ونستدل بهذا الحديث (٦) ، على منع الناس ان يعلقوا على اولادهم التائم والخيوط والخرزات وغير ذلك مما يختلف انواعه ويظنون ان ذلك ينفعهم أو يدفع عنهم العين أو مس الشيطان ونحو ذلك . وهي نوع من الشرك اعادنا الله تعالى من ذلك ، فان النفع والضرر بيد الله تعالى لا بغيره . بخلاف الريمة وهي الخيط الذي يُربط بالاصبع أو بخاتم للتذكر فانه لا بأس به للحاجة » .
وفي النبذة التالية ما يقفك على رأيه في المعتزلة (٧) :

« قال العبد أصلحه الله تعالى : ولما اطلعت على هذه الرواية ، بأن كتب

- (١) المخطوطة (ص ٦٠) . (٢) المخطوطة (ص ٩٩) . (٣) هو بشر بن الحارث المعروف بالحافي . كان ورعاً زاهداً . مات ببغداد سنة ٢٢٢ هـ . وترجمته معروفة في كثير من التصانيف . (٤) كان المؤمن يقول : لم يبق احد في هذه الكور مستحي منه غير هذا الشيخ يعني بشر بن الحارث (انظر تاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٧٢) . (٥) المخطوطة (ص ٦٧) . (٦) الحديث هو : « لا تبقي في رقبة بغير قلادة من وبر او غيره الا قطعت » . (٧) المخطوطة (ص ٧٠) .

المعتزلة المشتملة على اعتقادهم وبيان مذهبهم الخبيث لا يجوز امساكها في البيت ، فكان عندي الكشاف للزمخشري ، وفيه مذاهب الاعتزال في كل صفحة وورقة ، فأخرجته عن بيتي وما بعته بثمن ! » .

والمهم ذكره هو اننا عرفنا من الفقرة الآتية احد اساتذته ، فقد قال (١) :
« قال العبد اصلحه الله تعالى : سمعت شيعي واستاذي الامام العالم الكامل كمال الدين السامي طال عمره ، ان شاباً من اصل بخاري سأل . . . الخ »
ولم نقف على شيء من ترجمة استاذه هذا . والذي بلغت الانظار في تسميته هو لفظة « السامي »

كما اننا لم نعثر في الكتاب من اوله الى آخره ، على ذكر تصنيف آخر لمؤلفنا .
وُبلاََظ ، ان مصنف كتاب نصاب الاحتساب ، يستند في بجهته الى مؤلفات عديدة في التفسير والفقه والاحكام واللغة ، بالعربية والفارسية . واحديث مراجعه يعود الى المائة السابعة للهجرة . والذي احصيناه من تلك المراجع بلغ الاربعين كتاباً ، نذكر منها :

- ١ - بستان العارفين : لأبي الليث السمرقندي الحنفي ، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ .
- ٢ - الملتقط في الفتاوى الحنفية : لناصر الدين السمرقندي (٥٥٦ هـ) .
- ٣ - شرعة الاسلام : لامام زاده (٥٧٣ هـ) .
- ٤ - المغرب في اللغة للمطرزي (٦١٠ هـ) .
- ٥ - الفتاوى الظهيرية : لظهير الدين ابي بكر القاضي المحتسب بخاري (٦١٩ هـ) .
- ٦ - عوارف المعارف في التصوف : لشهاب الدين عمر السهروردي (٦٣٢ هـ) .
- ٧ - تذكرة الاولياء (بالفارسية) للشيخ فريد الدين محمد بن ابراهيم المعروف بالطار الهمداني (٦٣٢ هـ) .
- ٨ - سير الاثقياء (بالفارسية) . وحين نقله من هذين الكتابين الأخيرين وغيرهما من المؤلفات بالفارسية ، يورد النصوص بلغتها الأصلية (٢)

(١) المخطوطة (ص ٧٤)

(٢) انعم المؤلف ، في كتابه نصوصاً عديدة بالفارسية ، تفرقت في اكثر من ثلاثين موطناً .

ويؤخذ من النسخ الخطية المؤرخة لهذا الكتاب ان اقدمهن عهداً كتبت سنة ٩١٢ هـ للهجرة . ويتضح من المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ان أحدثها توفي مؤلفه سنة ٦٣٧ هـ فتكون وفاة مؤلفنا اذاً ، داخله في المدة المنحصرة بين سنة ٦٣٧ و ٩١٢ هـ

٣- موضوعات الكتاب

افتتح المؤلف كتابه بهذا الكلام :

« الحمد لله الحسيب الرقيب على نواله ايماناً واحتساباً والصلاة على رسوله محمد وآله مالا يحصي كتاباً ولا حساباً اما بعد : فقد جمع عبده الغريق في بحر فضله الطامي ، عمر بن محمد بن عوض السنائي ، اللهم الله تقواه فيما يكتب ، ويجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب في تصنيفه هذا الكتاب ، وهو نصاب الاحساب ، مسائل اختصت بالنسبة الى حسب منصب الحسبة ، من كتب معتبرة بين الفقهاء ، ومعول عليها عند العلماء ، بعد ما تحل في جمعه نصباً ، وكل في قيده نصباً ، وصرف الى تنقيحه وتصحيحه مدة مديدة ، وتكلف في ترتيبه وتهذيبه شدة شديدة ، ليكون للمبتلى به آية يعرف بها فيما يحتاج اليه غاية ، وهو مرتب على أبواب » .
وابواب الكتاب التي يشير اليها المؤلف ، عبارة عن اربعة وستين ، متفاوت طولاً وقصراً . وقد بان لنا من مقابلتها بموضوعات بعض الكتب الأخرى في الحسبة ، انه تفرّد ببعضها دون غيره ، وفي هذا ما يزيد في قيمته . ولا نرى لتعريف ابواب هذا السفر خيراً من ان نذكر عناوينها بحسب ترتيبها فيه :

- ١- تفسير اللفظين المتداولين في هذا الكتاب : الاحساب والحسبة .
- ٢- الاحساب على من يستخف بالحروف والكواغد ونحوهما .
- ٣- الاحساب على المخنث .
- ٤- الفرق [بين] المحتسب المنصوب والمتطوع .
- ٥- التعزير .
- ٦- الاحساب على الفقراء .

- ٧ - الاحتساب على الظالم بإئعانة المظلوم .
- ٨ - الاحتساب على النساء .
- ٩ - الاحتساب بسبب الغلمان .
- ١٠ - الاحتساب في الأكل والشرب والتداوي .
- ١١ - الاحتساب على اللعب .
- ١٢ - الاحتساب على القضاة واعوانهم .
- ١٣ - الاحتساب على من يتصرف في المقابر بما يجوز وبما لا يجوز .
- ١٤ - فيمن يخبز المحتسب بالمنكرات .
- ١٥ - فيما يحتسب في المسجد .
- ١٦ - الاحتساب على من يحضر الندبة في المساجد والمقابر في اليوم الثاني والثالث من الموت وبيان ما فيه من الأمور المحرمة والمكروهة .
- ١٧ - الاحتساب على الخطباء .
- ١٨ - الاحتساب على من حلف بغير الله تعالى او حلف فيه .
- ١٩ - الاحتساب على من تكلم بكلام الكفر .
- ٢٠ - الاحتساب على الوالدين والأولاد .
- ٢١ - الاحتساب في الخصومة الواقعة بين الجيران .
- ٢٢ - تفضيل منصب الاحتساب .
- ٢٣ - الاحتساب على من كشف عورته او نظر الى عورة غيره .
- ٢٤ - الاحتساب على من يظهر القبور الكاذبة ويشبه المقابر بالكعبة .
- ٢٥ - الاحتساب بسبب الصورة في البيت .
- ٢٦ - الدراهم والدنانير وغيرهما من انواع الاثمان .
- ٢٧ - الاحتساب على اهل الذمة .
- ٢٨ - الاحتساب على المسافرين .
- ٢٩ - الاحتساب بالاحراق .

- ٣٠ - الفرق بين المحتسب والمتعنت .
- ٣١ - الاحتساب على من يكتب التعويد ويستكتبه .
- ٣٢ - الاحتساب على من يأخذ شيئاً على الاحتساب من الناس .
- ٣٣ - الاحتساب في باب العلم والمعلم .
- ٣٤ - الاحتساب على السحرة والزنادقة والرقيّة [كذا . والصواب والرقاة] ونحوهم .
- ٣٥ - الاحتساب فيما يجوز التصرف في ملك الغير وغير الملك عقاراً او عروضاً .
- ٣٦ - إطلاق البنج على المسلم والذمي وتعزير آكله وشاربه .
- ٣٧ - الاحتساب على من استعمل الذهب والفضة وغيرهما .
- ٣٨ - الاحتساب في الثياب .
- ٣٩ - الاحتساب على من ينظر بغير حل .
- ٤٠ - الاحتساب على أهل بيع الكعب المفضض من الرجال .
- ٤١ - الاحتساب على المالك .
- ٤٢ - فيما يتعلق بمسائل الموتى .
- ٤٣ - إراقة الخمر وقتل الخنزير .
- ٤٤ - الاحتساب على اصحاب الزروع والباغات ^(١) .
- ٤٥ - الاحتساب على من يفعل في جسده او شعره او في اسمه بدعة .
- ٤٦ - الاحتساب في فعل البدع من الطاعات وترك السنن .
- ٤٧ - فيما يسقط به فريضة الاحتساب .
- ٤٨ - الاحتساب على المفرط في تواضع الناس .
- ٤٩ - الفرق بين المحتسب المنصوب وبين المحتسب المتطوع ^(٢) .
- ٥٠ - بيان سبب انتساب الاحتساب الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

(١) الباقات ٤ واحدها الباغ : لفظة فارسية بمعنى البستان (شفاء النليل للخفاجي ٤ ص ٢٨ طبعه الوهية : او ص ٢٣ طبعة الخانجي) . ومعجم ردهوس :

Redhouse: A Dictionary of Persian, Arabic, and English [vol. I, Oxford, 1777, p. 334].

(٢) هذا هو غير الباب الرابع ٤ وإن تشابه عنوانها .

- ٥١ - في أواني الخمر .
 ٥٢ - آداب الاحتساب .
 ٥٣ - الاحتساب على ما يظهر من البدع في البيوت ، وفي هجوم المحتسب على بيوت
 المفسدين بلا اذنهم .
 ٥٤ - فيما يتنع المحتسب عن الطريق وما لا يتنع
 ٥٥ - الاحتساب في الصلاة .
 ٥٦ - الاحتساب في الدواب .
 ٥٧ - الاحتساب على الطيرة والنكهن والتنجيم والتفائل ونحوها .
 ٥٨ - الاحتساب على الطباخ .
 ٥٩ - في بيان كلمات الكفر والمعصية .
 ٦٠ - الاحتساب على البدع في الانكحة .
 ٦١ - الاحتساب على بدع شعر الرأس .
 ٦٢ - الاحتساب على المذكر وعلى سامع التذكير .
 ٦٣ - الاحتساب فيما يقام به التعزير وتعليق الدرّة^(١) على باب المحتسب .
 ٦٤ - الاحتساب بالاخراج .

هذه هي أبواب الكتاب . وقد كان العلامة محمد كرد علي^(٢) نقل الباب الأول
 وقطعاً من بعض فصوله الأخرى ، عن النسخة التيمورية .
 وللمؤلف إشارة الى ان كتابه مختصر ، حيث يقول^(٣) :
 « . . . وانه كثير لا يحتمله هذا المختصر » .

بقي علينا ان نقول انه ورد في تعليق على كشف الظنون^(٤) ذِكرُ كتابٍ آخر
 بعنوان « نصاب الاحتساب » للقاضي ضياء الدين البرني المحتسب من علماء بغداد ،
 وزاد المعلق عليه قائلاً ان هذا الكتاب هو غير الذي لعمر بن محمد بن عوض السنامي .
 ويغلب على ظننا ان كتاب البرني أخذته يد الضياع .

٤ - نسخ الكتاب

لقد تتبعنا نسخ هذا الكتاب ، وتعقبنا أثرها في قوائم المخطوطات العربية في

(١) الدرّة : السوط يضرب به جمها : الدرر . (٢) مجلة المقتبس (٣) [١٩٠٨] ص ٦٠٩ -
 (٣) المخطوطة (ص ١٢٧) . (٤) هامش الصفحة ٥٣ من المجلد الاول من طبع استانبول . (٦١٢)

كثير من خزائن الكتب ، فأدى بنا الأمر الى الوقوف على عشرين نسخة خطية من هذا الكتاب ، وهذه هي :

- ١ - نسخة المتحف العراقي ببغداد ^(١) : وهي في ١٤٦ صفحة ، في كل منها ٢٥ سطراً ، كتبت سنة ١٠٧٩ هـ بخط أحمد بن الشيخ علي المقناوي .
- ٢ - نسخة خزانة الأوقاف العامة ببغداد .
- ٣ - نسخة دار الكتب المصرية ^(٢) : وهي بخط شمس الدين بن حجاج بن سعد الدين الحموي ، سنة ١٠١٠ هـ .
- ٤ - نسخة الخزانة التيمورية [في دار الكتب المصرية الآن] . كتبت سنة ١١٧١ هـ في ١٣٤ ص . ذكرها الاستاذ محمد كرد علي في مصادر خطط الشام (١ : ١٤ ، الرقم ٦٣) كما انه استوفى الكلام عليها في المقتبس . وقد بينا ذلك آنفاً .
- ٥ - نسخة خزانة نور عثمانية باستانبول ^(٣) ، رقمها ١٨٨٤ .
- ٦ - نسخة خزانة اسعد افندي باستانبول ، رقمها ١٠٢٤ .
- ٧ - نسخة خزانة لاله لي باستانبول ، رقمها ١٢٣٠ .
- ٨ - نسخة الخزانة السلمانية باستانبول ، رقمها ٦٨٥ .
- ٩ - نسخة خزانة عاشر افندي باستانبول ، رقمها ٤٠٧ .
- ١٠ - نسخة الخزانة الحميدية باستانبول ، رقمها ١٠٦ .
- ١١ - نسخة خزانة فاتح باستانبول ، رقمها ٤٨٤ .
- ١٢ - نسخة خزانة الجمعية الآسوية البنغالية في كلكتة ^(٤) : برقم (Ac 72) ، تاريخها ١١٠١ هـ .

(١) النصوص الواردة في هذا البحث ، منقولة من هذه النسخة . (٢) انظر فهرست الكتبخانة الحديوية (٣ : ١٢٣) . (٣) لكل خزانة من خزائن كتب استانبول ، قائمة (بالتركية) تعرف باسمها ، ولم نجد داعياً لذكرها في الهوامش لوضوح أمرها .

(٤) Catalogue of the Arabic books and manuscripts in the Asiatic Society of Bengal, By Shamsu-l-'ulama mirza Ashraf 'Ali. [Calcutta, 1904, p. 20].

- ١٣ - نسخة الخزانة الشرقية في بانكي بور^(١) بالهند : رقمها ١٠٩٣ ، وهي في ٢٣٥ ورقة صغيرة ، كتبت سنة ١٢٥٦ هـ
- ١٤ - نسخة الخزانة البارودية الكبرى في بيروت^(٢) : في ٢٢٤ صفحة ، كتبها أحمد بن محمد القونوي سنة ١٠٣٩ هـ .
- قلنا : هذه النسخة هي بعينها التي وُصفت في قائمة مخطوطات جامعة برنستن^(٣) بأمر كة ، برقم ١٧٧٥ حيث ذكر هناك انها اقتنيت من البارودي في بيروت سنة ١٩٢٥
- ١٥ - نسخة خزانة المكتب الهندي^(٤) بلندن : رقمها ٢٧٧ وهي في ٩٢ ورقة ، في الصفحة ١٩ سطرًا .
- ١٦ - نسخة ثانية في خزانة المكتب الهندي بلندن ، رقمها ١٦٩٣ .
- ١٧ - نسخة خزانة برلين^(٥) : رقمها ٤٨٠٤ . كتبت سنة ١٢٥٠ هـ في ١٤٩ ورقة .
- ١٨ - نسخة ثانية في خزانة برلين^(٦) : رقمها ٤٨٠٥ . كتبت سنة ١٠٥٠ هـ في ٧٥ ورقة .
- ١٩ - نسخة الخزانة الآصفية في حيدر اباد الدكن : رقمها (١٢٢ فقه حنفي) وقد كتبت سنة ٩١٢ هـ وهي أقدم النسخ المعروفة .
- ٢٠ - نسخة ثانية في الخزانة الآصفية : رقمها (١٥٠ فقه حنفي) وهي غير مؤرخة .
- ٥ - ترجمة الكتاب الى التركية

ذكر الاستاذ المحامي عباس العزاوي ، في بحث له عن الحسبة^(٧) ، ان هذا

Catalogue of the Oriental public library of Bankipore. [vol. (١) I., 1918, p. 108].

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٥ [١٩٢٥] ص ١٨٩) من مقال للاستاذ عيسى اسكندر المفلوح ، في وصف خزائن الكتب العربية .

(٣) Descriptive catalog of the garret collection of Arabic manuscripts in the Princeton university library [1938, p. 528].

(٤) Loth: Catalogue of the Arabic manuscripts in the library of the India office. [London, 1877, p. 67].

(٥) Ahlwardt: Verzeichniss der arabischen Handschriften zu Berlin [Band IV, 1892 pp. 251 - 252].

(٦) Ahlwardt, IV, 253.

(٧) الحسبة في الاسلام (مجلة العالم الاسلامي ١ [١٩٢١] ص ٥٠٢ - ٥١١) وقد احيى الاستاذ العزاوي في مقاله هذه عشر نسخ من كتاب نصاب الاحنساب ، منها سبع في استانبول واثنتان في بغداد وواحدة في القاهرة .

الكتاب مترجم الى التركية غير مرة ، وان من هذه الترجمات نسخاً في خزائن كتب استانبول ، لم نرَ داعياً الى سردها هنا .

٦ - طبع الكتاب

ذكر مؤلف « اكتفاء القنوع »^(١) بأن كتاب « نصاب الاحساب » طبع في كلكتة ، باعتناء العلامة اسبرنغر^(٢) . غير انه لم يُشر الى اسم مؤلفه او الى سنة طبعه . أما سنة طبعه - اذا صح ان يكون قد طبع - فيجب ان تكون قبل سنة ١٨٩٣ م التي توفي فيها اسبرنغر المذكور .

ثم جاء الباحث يوسف أليان سركيس^(٣) ومفهرسو مخطوطات جامعة برنستين^(٤) ، فتابعوا صاحب اكتفاء القنوع وقالوا انه مطبوع ، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً قط . وعبثاً حاولنا ان نقف على نسخة مطبوعة من هذا الكتاب في مكتبات الشرق ، بل اننا سألنا أشهر الكتبيين في اوربة ان يبحثوا لنا عن نسخة واحدة منه بأي ثمنٍ كان ! غير انهم ابدوا أسفهم معتذرين لعدم وقوفهم على شيء من أمره ! . ولقد رجعنا الى فهرس المطبوعات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني ، واستقرينا فيها جميع ما نشره اسبرنغر ، فاذا هذا الكتاب ليس فيها !

على اننا في شكٍ من صحة ما جاء في تلك المراجع الثلاثة المشار اليها ، خاصة أقدما عمداً ، وهو اكتفاء القنوع ، الذي نقل عنه من جاء بعده . ولو سلمنا بكون هذا الكتاب قد نشر ، نعود فنسأل : ما قولك في كتاب مطبوعٍ هذا شأنه من الندرة ؟ أليس الأحرى ان يعاد نشره ويقابل طبعه على النسخ المتعددة التي ذكرناها ، ليعم نفعه القراء ، وتيسر الاستفادة منه ؟

كور كريس عواد

[بغداد]

- (١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لأدور د فديك (ص ٥٠٢) .
 (٢) A. Sprenger (٣) معجم المطبوعات العربية والمرية (ص ٢٠٢٣) .
 (٤) Descriptive catalog (p. 528) .

صفحة من التاريخ الشامي لم يدون أكثرها

أتيح لي عام ١٣٥١ وانا بضيافة الشريف عباس آل مرتضى في دمشق الوقوف على مراسيم وسجلات خلفها اجداده من وثائق بعض الوقوفات ومن تثبيت لها في محاكم دمشق الشرعية وما الى ذلك مما له قيمته التاريخية وبعضها يمتد تاريخه الى عهد سيف الدين تنكز سنة ٧٣١ هـ ومنها مجموع صغير الحجم دون فيه كاتبوه من اجداد الشريف شؤوناً خاصة وحوادث تاريخية واسماء رجال لم اعثر على ذكر لجلهم في كتب المؤرخين المتأخرين فرأيت اخراج هذه الصفحة المطوية التي لها صلتها بتاريخ تلك الايام بعبارة كاتبها غير متصرف بشيء منها إلا بتتسيق الحوادث التي لم تنسق في المجموع حسب حدوثها في سنيها معلقاً عليها ببيان ما لم يعرض له المؤرخون او ما فيه بعض المخالفة لما دونوه منها .

مدينة بعلبك

موطن أشراف آل مرتضى فيها وفي دمشق وولاية اجدادهم قنطرة اشرافا
إن موطن هذه الاسرة العريقة الاول هو مدينة بعلبك واول من عرف من قدمائها
هو السيد حسن الحسيني . فقد جاء في تثبيت وقيمة النبي نوح في الكرك المؤرخة في عام
٩٠٥ ما هذا ملخصه :

حضر لدى مجلس ابي المناقب شمس الدين محمد ابن مفتي المسلمين ملك الفقهاء
والمحدثين المرحوم طاهر قاضي قضاة الاسلام وهو بمجلس حكم العزيز بدمشق حضرة
الامير الجليل محمد ابن المرحوم الامير الجليل ناصر الدين المعروف بالحنش^(١) الامير علي

(١) هو الامير سيف الدين ابو سعيد تنكز احد مماليك الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولاء
الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ هـ ١٣١٢ م ثم تغير عليه السلطان عماد الدولة اسماعيل بن الناصر
قبض عليه وقتله في الاسكندرية في سنة ٧٢٤ هـ هكذا جاء في التعليق على اسمه في تاريخ بيروت
لصالح بن يحيى واما ابن الوردي فقد ارخ قتله في سنة ٧٢٥ هـ ١٣٢٥ وقال : وله بدمشق والقدس
وغربها آثار حسنة واقواف .

البقاع مع كرك نوح عليه السلام ونواحيهما وأحضر معه منظر السادة الاجلاء في الديار
 البعلية وامير السادة الاشراف الحسينية قدوة العلماء السادة الشافعية ودرتهم الباهجة
 المضية مولانا وسيدنا منظر السادة الاجلاء الاشراف الكرام السيد علوان^(١) ابن المرحوم
 شيخ الاسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين مولانا السيد علي ابن المرحوم شيخ الاسلام
 والمسلمين جامع الشرف والتقوى والدين مولانا السيد حسين وهو النقيب علي السادة
 الاشراف الكرام والمتولي والناظر على اوقاف حضرة النبي نوح عليه السلام الى أن قال:
 وأن يكون ذلك متابعاً لما شرطه المرحوم المغفور له تنكز أمير الامراء بدمشق الشام
 سابقاً في وقفه رحمه الله تعالى المبرز من يد مولانا السيد علوان المزبور في المجلس فأمّله
 الحاكم المشار اليه ثم أمر بنقله حرفاً بحرف هذا الكتاب .

ومضمونه وقف سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي كافل ولاية دمشق الشام
 واحضاره معه لاجراء الوقف والتولية السيد حسين ابن السيد موسى ابن السيد علي
 الحسيني ما وقفه على حضرة نبي الله نوح عليه السلام الى أن قال :

وأشهد بذلك أي بما وقفه من القرى على وجوهها في العشر الاخر من ذي القعدة
 الحرام سنة احدى وثلاثين وسبعائة من الهجرة و ذكر شاهداً تثبت هذه الوقفية كما
 يلي : شهد بذلك نحر الامائل والاعيان الامير حسن ابن الحرفوشي وشهد بذلك نحر الامائل
 والاقران المقدم علي بيدمر .

وجاء في وقفية السيدة زينب المعروف مشهدها بقربة راوية من ضواحي
 دمشق واعمالها:

وكان المتقرب الى الله تعالى بهذا المعروف الذي لا يضاها والعمل الذي اجوره
 ومثوباته لا تتناهى شيخ الفقهاء والاصوليين علم النخاة والمربين شيخ الاسلام صدر مكة
 والمدينة والشام مولانا السيد الشريف حسين ابن المرحوم شيخ الاسلام علم الائمة الاعلام
 السيد الشريف موسى ابن المرحوم شيخ الاسلام والمسلمين قدوة الفقهاء والمحدثين
 السيد علي الحسيني الشافعي وهو النقيب علي السادة الاشراف الكرام والناظر

(١) تنفرع منه اسرنا مرتضى في دمشق وبعبك .

في الاحكام الشرعية وشيخ الفتوى والتدريس بمدينة بعلبك اعزه الله تعالى .
ثم ذكر اسماء ما وقفه ومنه بقربة الراوية البستان الكبير المشتمل على مقسمين شرقي
وغربي . وجعل ولاية الوقف لنفسه مدة حياته وبعده لولده السيد علي ثم من بعده
لاولاده واولاد اولاده واعقابه وانسابه ابدأ ما داموا للارشاد فالارشاد وسلم الوقف لولده
هذا بعد ما جعله شريكاً له في أمر التولية والنظر ليتم التسجيل وجرى ذلك في اواخر
شهر ربيع الاول سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) .

اما ولاية رجال من هذه الاسرة نقابة اشرف مدينة بعلبك فليس لدينا مستند يحدد
اول عهدهم بها ووقته ولكن ذلك لا ينبغي أن تكون قديمة فيهم وكيف كان فان اول
معروف فيهم وهو السيد حسين الحسيني كان نقيب اشرف بعلبك كما هو ظاهر من
وقفية السيدة زينب سنة ٧٦٨ هـ ووقف نبي الله نوح الذي وقفه سيف الدين تنكز
جاعلاً التولية له سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) .

ومن ذكرت اسمائهم في المجموع من نقباء الاشراف في بعلبك من هذه الاسرة :
[١] الشريف علوان جد فرعي بعلبك ودمشق من آل مرتضى رأيت بخطه كتاب
الدرة المضية في شجرة انساب الحسينية والحسينية والجعفرية والعقيلية والعباسية والهاشمية
تاريخ كتابته في عام ٩٤٥ وهو من تقدم ذكر تثبيت ولايته على وقف النبي نوح . توفي
سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م) عن خمسة وسبعين عاماً .

[٢] تولى النقابة بعده ولده السيد علي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢٠ م) .
[٣] وتولى بعده السيد محمد ابو طالب المتوفى في غرة شهر رجب سنة ١٠٨٦ هـ
(١٦٧٥ م) .

[٤] وتولى بعده ابن عمه السيد زين العابدين بن علوان وانتقل اليه تعالى ليلة
الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة سنة ١١٠٤ هـ .

[٥] وتولى النقابة السيد ابراهيم توفي في رابع سنة ١١٣٧ هـ (١٧٢٤ م) .

[٦] وتولى النقابة بعده ابن اخيه السيد حسن .

اما الحوادث المدونة في المجموع ، فانا نرويها بنصها :

قتل صالح آغا ابن صدقة في ابتداء سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م)^(١)

ورد الامر بقتل اغاوات الوجدان لما طغفوا وبغوا في سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١ م)
 وهم خليل بن طالو . وموسى آغا ابن الترجمان اسماعيل . ومصطفى آغا بن كيوان .
 وموسى آغا بن القوشجي . وسلمان آغا ابن الترجمان بن اسماعيل (?) . ومجيد آغا
 ابن الديكي . وكان في الشام محمد باشا الكرجي وأرسلوا رؤوسهم الى السلطنة^(٢)

ورد الامر بالنفير العام على الجبل وصارت الجمعية في البقاع من سائر الاطراف
 وتوجهوا جميعاً لدير القمر ونصبوا الامير موسى بن علم الدين مقام الامير احمد بن
 معن . وكان في الجمعية خمسة (?) باشاوات منهم التفكجي محمد باشا واحمد باشا
 ومتسلم حلب وحاكم بلاد ديار بكر يقال له كوروا . وأرسلان باشا باشاوية طرابلس
 وهو صاحب الرأي منهم . وكان في الشام اسماعيل باشا ارسل متسلمه وذلك في
 سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م)^(٣)

ورد الامر السلطاني في نفي حضرة السيد عبد الكريم افندي النقيب الى
 طرابلس الشام في خامس شهر رمضان سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ونفي معه سليمان افندي

(١) لم اجد ذكراً لصالح بن صدقة هذا ، والذي في خطط الشام في اخبار هذه السنة . . . انه
 لما عين كورجي محمد باشا اجريت عليه التنيهات اللازمة ليظهر البلاد من اعيان قاموا باعمال شنيعة
 رافعين علم الثورة فدعا الوالي تسعة منهم كما دعا العاصين محمد آغا صدقة ومحمد آغا قوشجي وبطش بهم
 وارهب غيرهم من الحوارج .

(٢) لم نجد لهؤلاء . ذكراً في غير هذا المجموع .

(٣) وروى المطران الدبس في تاريخ سورية هذا الحادث كما يلي : وصدر الامر السلطاني الى
 اسماعيل باشا والي دمشق . ومصطفى باشا والي صيدا . واحمد باشا والي غزة . ومحمد باشا والي حلب
 بان ينهضوا مع ارسلان باشا والي طرابلس لقتال الامير احمد بن معن وازاحته عن الاعمال البنائية
 فاجتمع هؤلاء الوزراء بوطا عرموش بالبقاع وعسكرهم ثمانية عشر الفاً وخمسةائة . ورواية الامير

جدر الشامي تشبه هذه الرواية مع شيء من الاختلاف .

ابن محاسن خطيب الجامع الاموي الى قلعة القسطل . والشيخ عثمان القطان ثم يعاد كل منهم الى محله عقب اربعين يوماً من التاريخ المزبور والله المعين . وكان والي الشام عثمان باشا السلحدار (١)

ورد الامر الشريف الى الشام بالنفير العام وأصاب الناس شدة عظيمة ولطف بهم بوجود مصطفى باشا الوزير كأول الشام وذلك في شهر رمضان المعظم سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) .

تولى محمد باشا بيرم اوغلي ايالة الشام وامارة الحج في سنة ١١١٤ هـ (١٧٠٢ م) وعاد من الحج ونزل في المرجة وأقام الى غرة رجب سنة ١١١٥ هـ (١٧٠٣ م) وعزل من الشام وتولى اورفة وتوجه من المرجة الى اورفة ولكن بعدما نال الناس منه ما لا يطاق من الظلم وكان حبسه اغلال الحديد بين الاوطاق من غير خيمة وكانت شمس النهار تؤذيهم ويرد الليل أعظم وكان يسمى حبسه المسطاح . وبعد خروجه من الشام ارسل لطرف الدولة العلية يشكو حاله . . ان اهل الشام نهبوه وقتلوا من جماعته وأخذوا من خزنته اربعة احمال وبنى على ذلك اشياء نجانا الله منها (٢)

ضبط الامير اسماعيل ابن الامير شديد الحرفوشي مدينة بعلبك وايايتها سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) من قبل والي طرابلس لمقطوع مائة كيس وهي خمسون الف قرش وفي هذه السنة كانت الزلزلة العظيمة في شهر شعبان وحصل منها في بعلبك امور هائلة . وسقط من قلعة بعلبك خمسة اعمدة . ثم اعاد ذكر هذه الزلزلة . فقال : صدرت الزلزلة العظيمة في ليلة الثلاثاء السابعة من شهر شعبان سنة ١١١٧ وكانت عظيمة مخوفة دفع الله السوء عن عباده وكننا اذ ذاك في بعلبك . والذي حل في بعلبك امر مهول وسقط من قلعة بعلبك خمسة عواميد ورقبة منارة الجامع الكبير . ورقبة جامع نوح وانفضت على سلامة والله الحمد وقتل في بعلبك رجلان . وأما في الشام فقد ضعفت اماكن كثيرة ومنها رقبة المنارة المعروفة بالغربية .

(١) لم تذكر حادثة تبي هؤلاء الاعيان في هذا التاريخ في غير هذا المجموع .

(٢) لم نجد ذكراً لهذا الحادث في غير هذا المجموع .

ورقبة المنارة الشرقية الاثنتان في جامع بني أمية وشارطوا على عود الرقبين كما كانتا على سبعة أكياس ٣٥٠٠ وقد تكررت هذه الزلزلة واقامت اياماً
 عمرنا رقبة مأذنة النبي نوح الساقطة ايام الزلزلة سنة ١١١٧ من حد الرفراف
 بمعونة الله تعالى

ورد الامر السلطاني في نهار السبت في ٢٠ الحجة سنة ١١١٨ هـ (١٧٠٦ م) في نفي اسعد افندي البكري . وعبد الرحمن افندي القاري وسليمان افندي المحاسني المرقوم أولاً الى قبرص وكان والي الشام سليمان باشا وامير حجج ووشى بهم للسلطنة لطف الله بهم فاستقاموا في قلعة صيدا ثمانين يوماً . وجاء عفوناهم وعادوا الى اماكنهم والله الحمد^(١) انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى الشريف يحيى ابن الشريف بركات المنفصل من شرافة الحرمين الشريفين في نهار الجمعة ثالث عشر وقيل ثاني عشر جمادى الثانية سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) بدمشق الشام وكان له مشهد عظيم ودفن بمزار السيدة رقية تحت قبتها وشمالها تابوتها الشريف جعل الله البركة في اولاده وكان معه في الشام ولده الصغير ابراهيم وأولاد أخيه الشريف عبد الله . وهم الشريف بركات . والشريف سعيد . والشريف حمزة يسر الله امرهم ورددهم الى الحرمين الشريفين وكان المنقيد بمصالحه السيد حسن العجلاني تقيب دمشق اذ ذاك وفقه الله تعالى والفقير^(٢) وقف على لحدده ولقنه بمحضر قاضي الشام واعيانها

سليمان ظاهر

النبطية

(١) وفي خطط الشام ٠٠٠ وقد أراد سليمان باشا البلطجي كافل دمشق اخذ قرض من تجارها واحداث بعض اظالم فتمه اعيان دمشق ومنهم اسعد البكري وعبد الرحمن القاري وسليمان المحاسني فنقام الى صيدا وعرض للدولة اموراً عنهم لم يأتوها ثم أعيدوا الى بلدهم واعتذر الوالي عما عزا اليهم .
 (٢) هو على الراجح السيد علي الموسوي من آل مرهضي من اجداد صاحب المجموع السيد عباس آل مرهضي .

جامع التواريخ

- أو -

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

- ١٦ -

حدثني ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن الأهوازي الكاتب قال: كنا خمسة كتاب قد نشأنا بين بدي أبي الحسن بن جميل في الديوان بالأهواز وتعلمنا ، عليه فكان فينا رجل متخلف في صناعته ، فأراد ابن جميل أن يغيب عن صاحبه ^(١) واستخلف ذلك المتخلف ، فاغتمنا لتقديمه علينا ، وكان الرجل يدخل الى صاحب واذا سأله عن شيء لم يفهمه ، وان فهمه لم يحسن ان يجيب عنه ، وان أجاب عنه اضطرب ولم يقم بالحجة ، فلما طال ذلك على صاحب قال : قد أضرت بنا غيبة ابن جميل عنا اكتبوا اليه حتى يبادر ، قال فعلنا حينئذ انه استخلفه ليكتب لصاحبه اذا غاب في موضعه ولا يطمع في ان ينوب عنه .^(٢)

* * *

حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب قال : كنت اكتب لأبي الفضل بن غيلان بن اسماعيل وهو بأرجان ينقلدها ، ف قيل له : قد قدم ابو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس ، والوجه ان

(١) أي صاحب الديوان كما يأتي (٢) بالأصل : تمورعه

- ٤٥١ -

تلقاه في غد، وكان ابو الفضل يُحِمُّ حُمَى الرَّبِيعِ ، فقال: كيف اعمل؟ وغداً يوم حُمَايَ ولا أتمكن من لقاء الرجل ، ولكن الوجه ان أُحَمَّ اليوم حتى أقدر أن ألقاه غداً ، يا غلام! هات الدُّوَّاجَ^(١) حتى أحم الساعة ، واذا عنده انه اذا أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصح ، تأخرت عنه الحمى وصح غد .

* * *

حدثنا الاستاذ ابو احمد الحسين بن محمد الدلجي قال : كنت بنواحي المذار في جماعة منهم راجل من الشكرية^(٢) يعرف بابن الجريج ، فخرج علينا أسد ، فابتدر له هذا الرجل بسيفه ودرقته يحاربه ، ودخل معه الأجمة فلم نعرف له خبراً حتى خرج علينا وقد قتل الأسد وحمله على ظهره ، وكان بيننا وبين الأجمة مسافة سالحة ، فلما انتهى الينا طرحه عن ظهره ، فما درينا من أي شيء نعجب ، من رجل قتل سبعاً وحده ، او من حمله اياه على ظهره طول تلك المسافة (العجب ممن يصدق هذا)^(٣) .

* * *

وحدثنا قال : بلغني عن خفيف السمرقندي انه قال : كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع من العسكر وليس معه غيري ، فخرج علينا أسد فقصدنا ، فقال لي المعتضد: يا خفيف! أفيك خير؟ فقلت لا يا مولاي ، فقال ولا حتى تمسك فرسي وانزل أنا الى الأسد؟ فقلت بلى ، فنزل وأعطاني فرسه ، وشد أطراف منطقتة واستل سيفه ورمى القراب^(٤) الي فأخذته ،

(١) اللحاف الذي يلبس (م) (٢) لعله الشاكرية جمع شاكري وهو معرب ومعناه

الاجير والمستخدم (٣) هذه ملاحظة بعض النساخين (٤) بالأصل : القرب .

وأقبل يمشي الى الأسد^(١) بالضربة فثناه المعتضد بأخرى ففلق هامته فخر صريعاً، ودنا منه وقد نلف، فمسح السيف في صوفة حتى نظفه ورجع الي فأغمد السيف وركب، ثم عدنا الى المعسكر وصحبته، فالي أن مات ما سمعته يتحدث بجديث الأسد ولا لفظ فيه بلفظة، فلم أدر من أي شيء أعجب، من شجاعته وشدته، أم من قلة حفله بما صنعه وكتمانه، (أم) من كرمه وعفوه عني، ولا عاتبني على ضني بنفسي.

* * *

حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن أم المكاتب البغدادي المعروف والده بأبي الليث الحمداني قال: حدثني محمد بن سريع^(٢) العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحلي وقال^(٣) ورد الى معز الدولة فأكرمه وأحسن اليه قال: رأيت رجلاً من بني عقيل وفي ظهره كله شرط كشرط الحجام الا أنها اكبر، فسألته عن ذلك فقال: اني كنت هويت ابنة عم لي، فقالوا لا تزوجك الا أن تجعل في الصداق الشبكة - فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب - فتزوجتها على ذلك، وخرجت في أن أحتال في سلب الفرس من صاحبها لا تمكن من الدخول بابنة عمي، فأثبت الحلي الذي فيه الفرس في صورة حدار^(٤) وما زلت أداخلهم، ومرة اجي الخباء الذي فيه^(٥) كأني سائل، الى أن عرفت مبيت الفرس من الخباء، واحتلت حتى دخلت البيت

(١) في العبارة سوء تأليف ويريد انه عاجله بضربة وثني بأخرى (م)

(٢) في كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ٤٢ ايزمع وفي الفرج بعد الشدة ٥٥: ٢ بديع

(٣) لعله: وكان (٤) الحدار لفظ معناه الذي يطوف في القرى يبيع

الاشياء وفصيحه العنقاش (م) (٥) لعله سقط: الفرس وفي الفرج فأثبت الحلي الذي

فيه الفرس بصورة محتاز مقتر

من خلفه وحصلت خالف النضد^(١) تحت عين كانوا نفسوه ليغزل ، فلما جاء الليل وافي صاحب الخباء وقد زاوت له المرأة عشاء ، وجلسا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم ، وكنت ساغباً فأخرجت يدي وأهويت الى القصعة واكلت معهم ، فأحس الرجل يدي فأنكرها فقبض عليها ، فقبضت على يد المرأة ، فقالت له المرأة : مالك ويدي ؟ فظن انه قابض على^(٢) امرأته ، فخلي يدي فخلت يد المرأة ، وأكنا فأنكرت المرأة يدي فقبضت عليها ، فقبضت يد الرجل ، قال لها : مالك ؟ فخلت عن يدي فخلت عن يده ، وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً ، فلما استقل^(٣) وأنا مر اصد هم والفرس مقيدة^(٤) في جانب البيت ، فأنتيتها^(٥) والمفتاح تحت رأس المرأة ، فوافي عبد له أسود فنبذ حصاة ، فانتبهت المرأة فقامت اليه وتركت المفتاح في مكانه وخرجت من الخباء الى ظاهر البيت ، ورمقتها بعيني فاذا هو قد علاها فلما حصلنا في شأنها دببت وأخذت المفتاح وفتحت القفل ، وكان معي لجام شعر فأوجرتة الفرس ، وركبتها وخرجت عليها من الخباء ، فقامت المرأة من تحت العبد ودخلت الخباء وصاحت ، فذعر الحي وأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا اكد الفرس وخلفي خلق منهم ، فأصبحت وليس ورائي الا فارس واحد برمح ، فلحقني وقد طلعت الشمس وأخذ يطعنني فلا تصل الي طعناته ، ولا فرسي تنحيني الى حيث لا يمسي من الرمح شيء حتى وافينا الى نهر عظيم ،

(١) النضد ما نضد من المتاع وجعل بعضه فوق بعض (م) (٢) في الفرج: على يد امرأته

(٣) في الفرج والاذ كياء استقل وهو غلط (٤) بالاصل بقيدة (٥) في الفرج:

والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة .

فصحت بالفرس فوثبته ، وصاح الفارس بالفرس الذي ^(١) تحته فقصرت ولم تثب ، فلما رأته عاجزاً عن العبور وقفت لأريج الفرس واستريح ، فصاح بي فأقبلت عليه بوجهي ، فقال : يا هذا أنا صاحب الفرس الذي ^(٢) تحتك وهذه ابنتها ، فاذا ^(٣) ملكتها فلا تخدع عنها فانها تساوي عشر ديات وعشر ديات وعشر ديات ، وما طلبت عليها شيئاً قط الا لحقته ، ولا طلبني عليها أحد الا فته ، انما سميت الشبكة لأنها لم تترد قط شيئاً الا أدركته فكانت كالشبكة في صيده ^(٤) ، فقلت له : اذ نصحتني فوالله لا نصحنك ، كان من صورتي البارحة كيت وكيت ، وقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس ، فأطرق ثم رفع رأسه وقال : مالك لا جزاك الله من طارق خيراً ، ظلت زوجتي وأخذت قعدتي ^(٥) وقتلت عبدي .

* * *

وحدثنا ابن ابي الليث الكاتب ، قال حدثني رجل من بني النمر بن قاسط يسمى دكين بدوي شاهده بالانبار قال : كان معز الدولة لما حصل بسنجار يشد فرساً له جليل القيمة بين يديه في أقرب المواضع الى مبيته ، فعتبت ^(٥) عليه وطمعت في سله وعملت الحيلة في ذلك فلم أتمكن ، الى أن جئت ليلة من الليالي فوجدت بعض السوامس وقد نزع جبة عليه ^(٦) صوفاً وهو نائم وقد طرحها الى جنبه ، فلبستها وجئت الى الفرس وأخذت المخلاة من

(١) الصواب : التي (٢) في الاذكيا : فاذا قد (٣) في الفرج في التعلق به

(٤) القعدة من الدواب الذي يقطعه الرجل للركوب خاصة (اللسان عن الليث)

(٥) لعله : فعينت عليه يعني فتمعجت منه ، والعبارة من لغة العامة (٦) لعله : عنه

رأسه لأحله وار كبه ، فلما طرحت المخلاة استيقظ معز الدولة وأحسست
بمركته ، فأخذت الغربال وطرحت به باقي الشعير الذي كان في المخلاة
وسرّده^(٣) وأعدته الى المخلاة وأوهمته اني أحد السواس وقد فعلت ذلك
منفقداً للفرس ، فلما رأي أني أفعل ذلك صاح بالفارسية بكلام فهمت معناه « حسبه
من الشعير لا ترده الى رأسه » فتركت المخلاة ومرح الفرس يطلبها ، فقال
معز الدولة بالفارسية : قصر عليه ، فتمكنت من الحيلة وأهويت الى الرسن
فحللته موهماً له اني أقصره واستويت على ظهره وصحت به فخرجت من
العسكر ، وصاح الامير معز الدولة وركب سرعان العسكر في طلبي ،
فما زلت اركض عليه وخلفي جميعه حتى حصلت في شعب طويل وهم ورائي ،
فاستقبلني قوم من العلافة رأيتهم على بعد من ضوء مشاعلهم ومعهم عسكر ،
فقلت في نفسي : يا دكين اليوم يومك ورائك عسكر وأمامك عسكر
فان ملكوك لم يوصلوك الى معز الدولة الا ميتاً وليس غير الاقدام على
ما تقدّر فيه النجاة ، فقام في نفسي أن أحمل على من هو أمامي وليس
لهم علم بخبري ، فسالت سيفاً كان معي فوق ثيابي ونحت الجبة التي
لبستها من ثياب سواس معز الدولة ، وحركت وهم لا يروني لأنهم في الضوء
وأنا في الظلمة ، فلما قربت منهم صحت بهم صياحاً عظيماً ، فقدروني ابتداء
خيل قد كبستهم تريدهم ، وأقبلت أحمل على واحد واحد وأنا أضرب
فيتوقاني واحذره الى أن تخلصت منهم وجريت ، ولحقت بهم الخيل التي
كانت خلفي وتشاغلوا بمساءلتهم عني قليلاً ، ففت الفريقين وحملت الفرس الى

(٣) يعني غربلته والعبارة أيضاً من لغة العامة

الشام فبعته على سيف الدولة بثلاثة آلاف درهم، ورحت في البلاد الى ان صرت إلى بغداد ومع الدولة يطلب قوماً من العرب ليفرض وينفذهم الى بعث ' فحملني المسيب بن رافع العقيلي في جماعة اليه عرضهم عليه فأثبتني ، فلما وقفت بين يديه اقتحمتني عينه لأنني دميم ' فقال : « بيدت دينار » فعلمت انه أراد عشرين ديناراً ، فكلمه المسيب والمهنا العقيليان ، فزادهما ثلاثة دنانير فقالا له رجل له فضل ومنزلة وهو في أهله ^(١) وفي شجاعته ، فقال : لو كان هذا كله فعلنا ما كان يقدر أن يصنع ؟ فقلت لبعض الثقباء : اي شئ قال ؟ ففسره لي ؛ قال فقلت : أيها الأمير ! أقدر اصنع : اضع نفسي على فرس بين يدي ملك مثلك ، فأحتال في أمره حتى آخذه سائساً ثم أركبه ، وقصصت عليه قصته مع فرسه بسنجار وذكر بيعه وثننه فقال : وأنت صاحب الفرس بسنجار ؟ فقلت له نعم ، فضحك وقال : نزله أربعين ديناراً ففعلوا .

* * *

حدثني ابو الحسين قال : اجتزت بطريق سرمن رأى فدخلت القصر المعروف بالأحمدي لأشاهد آثاره فلما توسطته رأيت مكتوباً على حائط فيه :
 في الأحمدي لمن يأتيه معتبرٌ لم يبق من حسنه عينٌ ولا أثرٌ
 غارت كواكبه وانهدت جانبه ومات صاحبه واستفزع الخبر
 وأنشدني لنفسه :

رفقاً اقبك بمقلة
 كلفتها طول السهاد
 أصبحت منها في السوا
 دوفي السواد من الفواد

(١) امله أهليته

وأشدني أبو القاسم الصوري قال أشدني أبو الحسن الموسوي العلوي لنفسه :
يانازلاً في السواد من مقلتي وفوادي

* * *

حدثنا أبو الفضل محمد بن عبيد الله قال : أخبرني جماعة من شيوخ الكتاب ببغداد أن القاسم بن عبيد الله كان قد أوجس في نفسه من اختصاص الحسين بن عمرو النصراني كاتب المكتفي^(١) فوضع عليه من يأتيه بأخباره ، حتى أظهر لمغنية كان ابن الحسين بن عمرو يتعشقها انه يعشقها^(٢) ويملاً عينها ، وكان يتسقطها أحاديث الحسين بن عمرو وابنه لكثرة ملازمتها له حتى غلبه عليها ، فاضطر ابن الحسين بن عمرو ان يداخل القاسم من أجلها ، واجتذبه وصار كالنديم له فملاً عينه بالاحسان وضرب^(٣) بينه وبين ابيه ، وكان يأتيه بأخباره ، فجاء يوماً فأعلمه انه قد شرع مع المكتفي في الوزارة وضمن القاسم وأسبابه بمال عظيم ذكر مبلغه ، وانه قد تقرر الأمر مع الخليفة أن يستوزر ابراهيم بن حمدان الشيرازي كاتب الحسين بن عمرو (وقال أبو الفضل وهو جدابي القاسم علي بن الحسين بن ابراهيم المعروف بالمشرف^(٤)) على ما كان ينظر فيه المكتفي^(٥) ، ويلبسه السواد ويخاطب بالوزارة ، لأنه لم يرغب هو في الاسلام ولم يجز استيزار ذي ، وان تكون الدواوين والأمر كلها اليه ويؤمر الوزير ان يصدر عن امره ولا يصل الا في أيام المواقب والمجالس الحافلة للعرض فقط واقامة الرسم ويلبس السواد والسيف والمنطقة ، وان

(١) لعله سقط : به (٢) لعله سقط ما معناه : وجعل (٣) ضرب بين القوم : اغرى

(٤) علي بن الحسين هذا أكثر ذكره في تجارب الأمم (٥) لعله : للمكتفي

فارس - داية المكتفي - هي التي قررت ذلك مع الخليفة ، وانه قد وعدهم ليوم
يعينه قريب ذكره ليقبض على القاسم وأسبابه ويسلمون الى الحسين بن عمرو .
وشاور القاسم أبا العباس ابن الفرات كيف يصنع ؟ فقال له : عندي ما يكفيك
هذا الامر ، قال وما هو ؟ قال كتاب بخط الحسين بن عمرو الذي يعرفه
الخليفة الى أبيك ، كتبه اليه من بعض الوجوه التي خرج اليها المكتفي في
أيام المعتضد وهو اذ ذاك كاتبه ، يخبر أباك من بخل المكتفي وسقوط نفسه
وعيوبه وفواحشه وضعفه ونقصه بكل عظيمة ، ويشير على أبيك ان يُنهي
ذلك الى المعتضد وان يشرع في استدعائه الى الحضرة لثلا يفتضح الملك .
والوجه لك أن تعمل ثبثاً بجميع أملاكك وما تحويه يدك ودارك وملكك
من جميع الأشياء وتصير الى الخليفة وتستخليه ، فاذا خلا طرحت نفسك
بين يديه على الارض وبكيت وأخرجت الثبت وسألته أن يقبل جميعه منك
عفواً حلالاً ويقرك على خدمته ، او أن يوئمنك على جسمك ونفسك وان
لا يسلمك الى الحسين بن عمرو فانه غير مأمون على ^(١) ، فاذا سألك عن
سبب ذلك اعلمته ان الحسين بن عمرو اظهر السرفيلغك ، واخرجت الكتاب
اليه وقلت له يا أمير المؤمنين كيف تأمن على نفسك ودولتك من هذا اعتقاده
فيك ؟ فانه اذا قرأه معاً قد سمعه منك انحل ورجع لك وانقلب على الحسين
ابن عمرو ، واذا سألك عن الكتاب عرفته انه كان في خزائن أبيك يحفظه
على الحسين بن عمرو لك ويسلمه ^(٢) اليك ، وكان المعتضد يخافه حتى هلك ،
وانك أنسيت أمره الى الآن فأظهرته ، واضمن الحسين بن عمرو وابراهيم

(١) لعله سقط (شيء) (٢) لعله ليسم اليك

الشيرازي وأسبابهما كذا وكذا الوفاً تقدر على استخراجها منهم فان الخليفة يجيبك ، واذا وعدك فعرفه ان هذا أمر قد ظهر وفشا وتحدث به الناس وكثرت معه الارجيف ، وانه ان اخر تسليمهم اليك وقفت الأمور على العمال وطمع فيها كل أحد فأضر ذلك به ووقفت أمور الوزارة وسخفت من تأخير تسليمهم اليك فانه يسلمهم . قال فركب القاسم في الحال الى المكتفي يعمل جميع ما قاله له ابو العباس ، فجري الأمر على ما ظنه وعاد القاسم وقد أذن له الخليفة في القبض على الحسين بن عمرو واسبابه ، فقبض عليهم واصطفي^(١) أموالهم ، فلما احس بنفادها أنفذ الحسين بن عمرو و ابراهيم الشيرازي الى الأهواز على سبيل النبي و وكل بهما ، فلما حصل بالاً هواز قتلها الموكلون ، وقيل انهما جعلوا في بيت وسدّ وُمنع من دخول الماء اليهما والغذاء فلما علم بموتهما فتح الباب ونقلوا الى بيت آخر وأظهر أن أجلهما ادر كهما . قال فلما خرج القاسم وقد ظفر وتم له التدبير قبل رأس أبي العباس بن الفرات وعينه وشكره وقال : انت ابي وعضدي وما اشبه ذلك من القول ، فحسده ابن فراس على ذلك وقال للقاسم : أيها الوزير سل ابا العباس من أين له هذا الكتاب ؟ فسأله فقال ابو العباس : كنت منذ دهر مجتازاً في بعض الطرقات فرأيت في دكان نطّاف^(٢) عليه ظهور^(٣) معلقة لي جعل فيها ما يبيعه من الناطف على الناس ، وما رأيت قط شيئاً مكتوباً الا احببت قراءته ، وقد أفدت من ذلك دفعات كثيرة وفوائد كباراً ، قال فلحظت الظهور

(١) لعله واستصنى (٢) لعله سقطت كلمة (رفاً) او مافي معناها (٣) يراد بالظهور

السقط من الأوراق وسميت ظهوراً لأنه كتب على احد وجهيها وتركت ظهورها أيضاً (م)

فوقعت عيني منها على عنوان هذا الكتاب ، فعرفت خط الحسين بن عمرو ،
 فتبعت نفسي قراءة الكتاب ، فقلت لغلامي : امض فاشتر هذا الناطف
 في ذلك الظهر وأومأت الى هذا الكتاب ففعل وجاءني به ، فقرأته فوجدت
 فيه العظام ، فقلت في نفسي : هذا أشرّ الناس يكتب لرجل ويتخلفه بمثل
 هذا الكتاب ، فلعله أن يلحقني يوماً شرّ من هذا الرجل فأدفعه بهذا
 الكتاب او انعي عليه عيوبه ، فمسحت آثار الناطف منه واحتفظت بالكتاب
 فهو عندي منذ كذا وكذا سنة ، فلما حدثني الوزير الآن بهذا الحديث علمت
 انه موضع اظهار الكتاب فأظهرته . فلما انصرف ابن الفرات عن المجلس قال ابن
 فراس للقاسم : - وكان يشنعه^(١) عنده دائماً فلا يلتفت اليه - قد بان لك مقدار
 شر ابن الفرات ، هذا شر عليك من الحسين بن عمرو ، لأنه عدو مدغل^(٢)
 منس بين ثيابك ، والحسين كان عدواً مكشفاً وأنت على اتقائه أقدر ،
 ما يؤمنك ان يكون ابن الفرات قد تحفظ عليك في مدة استرسالك اليه
 ما هو أكثر من هذا او قد حصل خطك بألوان فيها الدم وأنت ناس كما فعل
 بالحسين بن عمرو ؟ وما يؤمنك أن يكون عنده من خطوطك او خطوط
 أيك ما يجري هذا المجرى ؟ فان الناس ربما سخطوا على أصحابهم واستؤمنوا^(٣)
 الى بيتهم عند نصحاءهم ، وانما يتقرب منك ابن الفرات إِعراضاً او أدنى
 خلاف عليه في شيء لا يوثره وتوثره انت فيظهر للخليفة عنك وعن
 أيك ما هو أعظم من هذا فتهلك ، وان أمسكت عنه فأنت ربيهم^(٤)
 في حجره وعنده انه قد ردك الى الوزارة برأيه ويقتطع الدنيا ويفوز بها

(١) بالأصل يشنعه (٢) اي خفي (٣) لعله واسترسلوا (٤) لعله: ربيب

بمعنى انه ينظر اليك كما ينظر الى ربيب

وبفائدتها وتكون التبعة عليك ، وان أوحشته قتلك بمثل هذا الفعل ،
فاقبل رأيي وعاجله واحتل عليه بسم تدسه اليه وتتخلص منه . قال فوقع
ذلك في نفس القاسم وما زال ابن فراس يقوي رأيه الى ان عمل له سماً
في تفاعهة وأشمه اياها فأنلفته وكان هذا الكتاب أشأم كتاب سمع به .

* * *

وحدثني أبو محمد^(١) قال حدثني بعض شيوخ الكتاب ببغداد عن
حدثه انه سمع ابا الحسن بن الفرات يقول لأبي جعفر بن بسطام وكان سيء
الرأي فيه : ويحك يا أبا جعفر لك قصة في رغيف ما هي ؟ فقال مالي قصة
في رغيف ، فلم يزل به ابو الحسن الى ان قال له ان أخبرتني بذلك كان
خيراً لك ، قال نعم : ان أُمي كانت عجوزاً سالحة وعودتني منذ ولدت
أن تجعل تحت مخدتي التي أنام عليها في كل ليلة رغيفاً فيه رطل اذا كان من
غد تصدقت به عني ، وأنا أفعل هذا الى الآن ، قال فقال ابن الفرات :
ما سمعت بأعجب من هذا ، اعلم انني من أسوأ الناس رأياً فيك لأمر
اوجبت ذلك ، فعددت بعضها وأنا منذ أيام مفكر في القبض عليك
ومطالبتك بمال ، فأرى منذ ثلاث ليال في منامي كأنني قد استدعيتك
لأقبض عليك فتحاربني وتمتنع علي ، فأتقدم بمحاربتك فتخرج الى من
يحاربك ويبدك رغيف كالترس فتتقي به السهام فلا يصل اليك منها شيء ، وأشهد
الله عز وجل انني قد وهبت لله تعالى ما في نفسي عليك ، وان رأيي لك اجمل
رأي من الآن فانبسط . قال فأكب ابو جعفر على يديه ورجليه يقبلها .
(ينبع)

(١) كتاب الوزراء لهلال ص ٦٤ والفرج بعد الشدة ١: ١٧٢

مخطوطات ومطبوعات

نخب الذخائر في أحوال الجواهر

تأليف محمد بن ابراهيم بن مساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكنافي

المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ / ١٧٤٩ م

نشرها وعلق عليها الاب انتاس ماري الكرملي

طبع في المطبعة المصرية بالقاهرة ١٩٣٩ ص ١٨٨ من القطم الوسط

أجاد زميلنا في نشر هذا التأليف اللطيف وقد علق عليه حواشي دلت على طول باعه ونفسه في البحث وأتبعه بأحد عشر فهرساً قربت مناله من كل طالب وقد اغتبط بنشره « ليري أهل عصرنا ان الأقدمين منا كانوا واقفين على أسرار هذه اللغة البديعة وان مصطلحات أبناء الالسنة الأخرى الحية والمعروفة في عصرنا هذا لا تجاريها في ما وضعه الناطقون بالضاد منذ عصر العباسيين الى عهد المؤلف »

وقد قدم له مقدمة بالفرنسية قال فيها ان الكتاب نشر في السنة الحادية عشرة من مجلة المشرق وفي السنة الرابعة من مجلة المقتبس وفاته ان يشير في التعليقات العربية الى ناشر هذا السفر الصغير في المقتبس وناشره العلامة محمود شكري الألوسي رحمه الله استاذ الاب انتاس فكان يقضي الوفاء لاستاذه وللعلم ان ينوه بالناشر الأول . ان لم يكن ذلك عن نسيان وذهول ولكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة .

محمد كرد علي



تاريخ ابن الفرات

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات . المجلد التاسع الجزء الأول والثاني

ص ٥٩٢ المجلد الثامن ٢٨٥

حقته وضبطه الدكتور قسطنطين زريق والدكتور نجلاء الدين

طبع بالمطبعة الاميركانية في بيروت

هذا الكتاب من منشورات كلية العلوم والآداب في الجامعة الاميركية في بيروت والمؤلف مصري من أهل القرن التاسع درس على جماعة من علماء زمانه وتولى عقود الانكحة واشغل بجوانيت الشهود وعنى بالتاريخ وخلف تاريخاً كبيراً في المسودة لم يبيظه ومات سنة سبع وثمانمائة . وكتب يومياته على اصول ذلك العهد

والجزءان الأولان من كتابه يحملان حوادث من سنة ٧٨٩ الى ٧٩٩ وما طبع من المجلد الثامن يضم حوادث (سنة ٦٨٣ - ٦٩٦) كتبها بلغة عامية لا اعراب فيها وفيها ألفاظ عامية قد لا نفهمها ، وكان المؤلف بحكم عمله قريباً من منبع الحوادث وما تعدى كلامه بيئته الا قليلاً ، والحوادث التي أرخ لها تافهة على الاكثر لا يستفيد منها ابن العصر زبدة كبيرة ولكن هناك ولاسيما في الجزء الثالث والذي يليه ارتقت لغة الكتاب وأخذ يزيد على تدوين الحوادث منشورات ومراسيم ورسائل تقفنا على روح العصر ونمط انشائه وتفكيره كما يعرض لنقل شعر بعض المشهورين ممن يتوفون في آخر كل سنة . ولكن منها ما حذفه الناشران واستعاضا عنه بنقط كما فعلا في صفحة ٣٢٢ و ٣٢٣ (المجلد التاسع) فحذفوا أشياء من شعر ابن مكناس وكان الأولى اثباتها . فاذا كنا نخرى بأن لا نغفل نقطة من الأصل حتى لا نخرج عن قانون النشر والأمانة فبالحري ألا نترك أياناً لم نر فيها ما يناسب ذوقنا ، ونحن لم نؤلف الكتاب ، نعم كان على الناشرين ان يثبتا نص المؤلف برمته خصوصاً والكتاب يقصد به نفع الخاصة وليس من الكتب المدرسية ، ويوم يؤلف المؤلف المعاصر يختار من كلام الناس ونصوص المؤلفين ما طاب له وراه ينطبق على أدب العصر . وقد اختار الناشران ان يبدأ بنشر تاريخ ابن الفرات من آخره لأن الأجزاء الأخيرة منه اهم من الأولى وهذه يسقط الباحث فيها على حوادثها في التواريخ السابقة وربما كانت عندهم على صورة اكمل وامتع . وقد جود الناشران اخراج هذا الكتاب من مخطوطته الوحيدة وبالغا بالعناية بالتصحيح وشفعا الجزءين الأولين بفهارس منقنة فلها أوفى الثناء على هذه التحفة التي اتحفا بها التاريخ عامة وتاريخ الممالك خاصة

م . ك

تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني

للشيخ احمد بن محمد الخالدي عني بنشره الدكتور اسدرسم والامتاذ فؤاد افرام البستاني طبع بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٣٦ بناية مدير المعارف والفنون الجميلة في جمهورية لبنان ص ٢٧٤ الخالدي من الرجال الذين عرفوا من أرخ للامير فخر الدين المعني الثاني معرفة قريبة وكان ممن رافقه في رحلته الطويلة الى ايطاليا فدون من أخباره ما لم يتيسر لغيره ان يعرفه من أخبار مخدومه . وذكر ان صاحب اسبانيا يومئذ عرض عليه ان

بعطيه مملكة أعظم من البلاد التي كان يحكمها ، اي لبنان وما اليه ، على أن ينتحل النصرانية فأبي وان الامير استصحب معه امامه ومؤذنه وأقام مأذنة يدعو فيها الى الصلاة مدة مقامه في البلد الذي حل فيه من أرض ايطاليا وانه حمل معه في تابوت ابنة له كانت قضت نحبها هناك ليدفنها في بلاده الى غير ذلك من الاخبار الطريفة والوفائع المعروفة التي عرف فيها عهد هذا الامير العظيم الذي يحق للبنانيين بل للعرب كافة ان يفاخروا به ويذكروا بالخير عهده على قلة الخير في تلك الادوار الخاملة . وقد بذل الناشران الجهد في مقابلة أصل هذا التاريخ على مخطوطات مهمة نجاء بما وضعه له من الفهارس مثال الجد والكتب المخدمومة اجل خدمة فلها وللحكومة اللبنانية التي أخذت تنشر كل ماله علاقة بمجوات هذا الجيل أطيب الشكر والثناء

م . ك

❦

ابو العلاء المعري

لأحمد تيمور باشا طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م - ص ١٦٠ (قطع الوسط)

هذا كتاب موجز في حياة المعري تناول منه المؤلف نسبه وأخباره وشعره ومعتقده أخذاً من مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة فأبدع وأجاد واتى الباحث في كل صفحة من صفحاته بفوائد يعزُّ الظفر بها على غيره . وكلامه في كتب المعري فقط وتحليلها يعد من الدراسات الشائقة التي لا يضطلع بها كثيرون . وفي باب عقيدة المعري ورأيه في المعاد والنبوات آيات في التحقيق يستفيد منها كل من يحب الصدق في تحليل الرجال وفيها أيضاً درس جميل يتلقاه من اعتادوا أن يلقوا الكلام على عواهنه ويكفروا ويبدعوا ويفسقوا على هواهم ، كأن بأيديهم مفاتيح الجنان واليهيم مرادُّ النجاة والهلاك . وتلس في كل أبواب الكتاب لطف المؤلف وأدبه مع القدماء مما يقلُّ فيمن يتصدون مثله للتأليف رحمه الله .

م . ك

❦

تراجم اعيان القرن الثالث عشر

وأوائل الرابع عشر

تأليف أحمد تيمور باشا ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م

وهذا موضوع جليل في تاريخ رجال مصر في العهد الأخير ترجم لهم العلامة المؤلف تراجم تبسط في أكثرها ومنهم من عرفه معرفة شخصية ووقف على بيئته ونشأته وأعماله ونكاته وملحه ووقائعه السياسية والادبية . ويود من قرأه لو يطول به النظر فيه ولا بأسف الا عندما تقول له الصفحة الأخيرة منه ها قد تم ما كتب المؤلف .

ترجم نخبة من الرجال بحسب رأيه ، والحيدة متجلية في أقواله ، لأنه لا غرض له الا تدوين الحقائق ولو تعلقتم بهم فاختصر مؤلفات المتأخرين في الترجمة للرجال على المثال الذي كتبه احمد تيمور باشا لوقع اختصارها الى العشر وأقل من العشر . فان المؤلفين في هذا الباب خلطوا في القرون الثلاثة الأخيرة خلطاً نسال الله منه السلامة والعامل في ذلك انهم تهجموا على صناعة ليس لهم فيها يد ولا عرق وسهروا على العلم كما سهر عليه المؤلف العظيم طول حياته فأحيا بذلك الآداب وأتى في كل ما خطه قلبه بالعجب العجاب .

م . ك



كليلة ودمنة

بتحقيق الدكتور طه حسين بك والدكتور عبد الوهاب عنزام

مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٤١

ابن المقفع من الادباء الخالدين ، وأجل ما بقي من آثاره كتاب « كليلة ودمنة » .

كان منذ اثني عشر قرناً - وما زال - القدوة في الادب وحسن الانشاء . ولا تكاد تجد مثله كتاباً يعطيك من الحكمة العالية ، والادب الرفيع ، ويصور لك الطبائع في جميع مناحيها ، والنفوس ودخائلها وأهواءها ، ويدعو الى مكارم الاخلاق ،

على سبيل القصص الممتع المغربي ، المأثور عن لسان الحيوان ، بأيسر أسلوب وأحسن إيراد . حتى اجمع على الرغبة فيه ، والانس بمطالعه ، كل من عرف القراءة ، من الأحداث الى الشيوخ ، وكلما ازداد علم الانسان ازداد اعجاباً به ، وكلما تديره أكبره . وتلك مزية انفراد بها ، لا بدانيه فيها كتاب من كتب الادب العربي . ولقد شارك العرب في اعجابهم بهذا الكتاب كثير من الأمم المتحضرة ، فنقلوه الى لغاتهم ، فأصبح رسالة عن الادب العربي للأمم كافة .

صدر الكتاب للدكتور طه حسين بك ، فأثنى عليه بأسلوبه السدح العذب ، ووصفه بـ « التراث الانساني الخالد » لما فيه من « حكمة الهند وجهد الفرس وذوق العرب » ولرغبة الاجيال والشعوب فيه ؛ كما أثنى على المطبعة التي تنوقت في اخراجه . وقدّم بين يدي الكتاب الدكتور عبد الوهاب عزام مقدمة قيحة ذات قسمين ، القسم الأول في طبقات الكتاب ، والقسم الثاني في أصوله وتراجمه وابوابه . فذكر « قيمة الكتاب الأدبية ، وعناية المستشرقين به ، وانه ترجم الى كثير من اللغات ، وأحصى طباعته ، وان اولها طبعة دي ساسي في باريس سنة ١٨١٦ ، ثم الطبعات المصرية والشامية ، من عهد محمد علي الى الآن ، وان فيها كلها مواطن لا يطمئن لها الناقد . ووصف النسخة المخطوطة التي حققها وخرّجها وهياها للطبع ، وانها اقدم النسخ كتبت سنة ٦١٨ وعثر عليها في خزانة اياصوفيا في استانبول . وذكر انها تخالف النسخ المطبوعة من وجوه ، وان لها عليها مزايا ، منها وجود جمل مبسوطة في حين انها مختصرة في النسخ الأخرى ومنها ان فيها جملاً يظهر فيها الاسلوب الفارسي ومنها ان ما اقتبس في كتب الادب القديمة مثل عيون الاخبار لابن قتيبة من كتاب كليلة ودمنة اقرب الى نصوص تلك النسخة من جميع النسخ المطبوعة ، الى غير ذلك من المزايا التي اوردها على سبيل البسط والتفصيل ، وان اقرب النسخ اليها النسخة التي طبعها الاب لويس شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩

وذكر في القسم الثاني من المقدمة ان اصل الكتاب هندي ترجم الى الفهلوية ومنها نقله ابن المقفع الى العربية ، وقد عثر على معظم أبوابه في الكتابين الهنديين

« پنج تنترا » و « هتو پادشا » وان هناك ابواباً من وضع الفرس ، وبابين من وضع ابن المقفع وهما « عرض الكتاب » و « باب الفحص عن امر دمنه » مع دراسة لأبواب الكتاب في جميع النسخ المطبوعة ، ومعارضتها بنسخته من حيث الاتفاق والاختلاف والزيادة والنقص والتقديم والتأخير » ثم الحق بأخر الكتاب تعليقات ذات بال لكل باب على حدة ذكر فيها ما حققه من الفوائد ، وبدا له من الملاحظات . كل ذلك على سبيل التدقيق والاستقصاء والاتقان .

ولقد جعلت مطبعة المعارف هذه الطبعة تذكاراً لعيدها الذهبي ، وأهدتها الى ملك مصر . فجلتها تحفة انيقة ماجادت المطابع العربية بمثلها من قبل . اذا أخذت نسخة الفيت مجلداً ضخماً متناسب المقاييس ، رسم على ظاهره اسد متوج . وقد اقمى بجانبي عرشه « كليله ودمنه » . فاذا قلبت صفحاته رأيت ورقاً فاخراً روعي في لونه وصقاله راحة البصر ، وحرفاً جميلاً يكاد يكون صوراً تتكلم . وقد دار بكل صفحة اطار نبت حوله أغصان خضر متشابكة مسترسلة وسنابل وازهار . أما عناوين الفصول وفواتح الأبواب ؛ فضمن حنايا ومحاريب فيها ضروب من الوشي والنمنمة ، وينتهي كل باب بخاتم يمثل نقوشاً واشكالاً فنية .

وفي الكتاب بضع عشرة صورة تمثل مشاهد من ابواب الكتاب رسمها « رومان ستريبيكالسكي » محاكياً الفن الفارسي في الملامح والسمات ؛ والدوق الشرقي في المبالغة في اشباع الألوان والاصباغ . وهكذا اجتمع في هذه الطبعة جميع عناصر الاتقان والاحسان .

فهلل مردم بك



جان درك

٣٥٥ صفحة من القطع الوسط

لعل هذا الكتاب من أفيد ما اختارته لجنة التأليف والترجمة والنشر من « عيون الأدب الغربي » ولم يكن اختيارها المعرب بأقل توفيقاً من انتقاء الكتاب ، فقد عهدت بجمعيه الى الدكتور احمد زكي بك العالم البليغ الذي نقرأ له الفصل على انه صفحة

أدبية شيقة فاذا أنت قد وعيت - من حيث لا تشعر - مسائل هي في صميم العلم وإذا هو قد احتال عليك وحيرك وجعلك تؤمن بطواعية اللغة العربية ومرورتها وصلاحها لمختلف حاجات العصر .

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب العالمي الذائع الصيت (جورج برناردشو) اكبر أدباء الانكليز . والكتاب مقدمة تحليلية لقصة جاندرک جود فيها (شو) كل التجويد وعرض فيها لجملة من المسائل التي تعاورها المؤرخون والكتاب فين فيها وجه الصواب . وقارئها يوقن ان المؤلف قد اجتهد ان يكون منصفاً وأن يرد الحق الى نصابه ، فذكر صدقها واخلاصها وقوة ايمانها كما ذكر غطرستها وعنادها ، وقابل بينها وبين سقراط وبينها وبين نابليون ، وزيف ما وقع فيه بعض الروائيين الخياليين وخاصة الانجليز من وصفها بما ينافي الفضيلة او بالجنون ويرى (شو) أنها « امرأة قديرة مكينة خلقت للرياسة والسيادة - ص ٢٦٨ » وحال مسألة الرؤى التي كانت تراءى لها تحليلياً لا غاية بعده ورده الى المؤلف من عرف الناس . وتقض رأي الكثيرين القائل بأن محاكمتها كانت ظالمة شابت هوى الانجليز في اتهامها . و (شو) يعتقد ان الحكم عادل بعد ان سرد ملابسات القضية ونقلنا الى زمانها ومكانها ، وأن الجرم ديني لاسياسي ، وهو خلال ذلك يعرض لكثير من المسائل المتعلقة بالكنيسة والاقطاع والمسيحية في العصور الوسطى . والمقدمة كتاب مستقل متقن لا غنى لمتقف عن التروي فيه والاستفادة منه وتبلغ نحو الثلث من صفحات الكتاب وقد اصاب العرب بتأخيرها عن الرواية . اما الثلثان الباقيان فهما رواية مسرحية ل (جاندرک) تتألف من ستة مناظر : في قلعة ثو كولور حيث تطوعت وعرضت على قائد الحامية ان يعينها بجنوده ، ثم في حجرة العرش في شينون ، ثم على اسوار أورلثان وقد آمن الناس بها . والفصل الرابع جعله (شو) في خيمة في معسكر انجليزي حيث يتداولون في امرها ، ويتآمرون لقبض عليها ، اما الخامس ففي كندرائية « ريمس » حيث توجهت شارل بأمر السماء وملاً الناس السكك لرؤيتها والتبرك بها وهنا تبلغ جان القمة في مجدها وتبدأ نهايتها إذ أبى رجال الجيش ورجال البلاط ان يجازفوا بقواتهم وأصررت هي وذهبت بمن

معها من المتطوعين فوقت في قبضة البروجنديين وهؤلاء أسلموها الى الانجليز . والمنظر السادس وهو أروعها وأمتعها مقصور على محاكمتها وفيه يظهر تناحر شطري المحكمة : الأسقف من جهة وهو يميل الى حملها على التوبة لتنجو من الانجليز وقسوس انجليز أبو الا الحكم بزندقتهما . وتنتهي المحاكمة بفصلها عن الكنيسة واحراق الانجليز لها . وألحق (شو) بالرواية فصلاً ختامياً هو رؤيا يراها الملك شارل وكان فيها استئنافاً لأحكام المحكمة والناس على أكثر ابطال الرواية ، وأطرف مافيه ، ان هؤلاء الكبار وفيهم الملك وكلهم ممن اعتقد في هذه الرؤيا قد استهاطار صوابهم وانقضوا عنها حين عرفوا عزمها على الرجوع الى الارض . وهنا يهزأ (شو) هزأً خفيفاً بليغاً مما جرى الناس عليه من حرب البطل في حياته وتقديسه بعد مماته وهذه هي مناظر الرواية . وان القارئ ليقع خلال ذلك على طرف وفوائد كثيرة بعثت في الرواية والمقدمة ويقف على رأي « شو » في رجال الكنيسة حينذاك . ثلاً (ص ٣٠) وموقفهم من اليهود في كلام قس : « اليهود الأوغاد الذين يتدخلون كما انتقل مال من يد الى يد ، ولو كان الامر لي لما اقيت على احد منهم في بلد من بلاد المسيح -- ص ٨٠ » كما يرى عبارات نائية انحدرت من عصور الجهالة والتعصب في اوربا تتعلق بالرسول العربي صلى الله عليه وسلم . والى ذلك يرى عرضاً لنظريات في السياسة والدين والاجتماع . وخاصة حين يعرف القارئ سبب غضب الكتلركة والاقطاعية على مبادئ جان التي رأت ان الارض لله والملك خليفة عليها ، وانظر (ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٢٧٠) لتري كيف يشرح لك شو ان « القومية » بالمعنى الحديث تنافي المسيحية وتضربها في صميمها . ولا يجرمك « شو » التمتع بفكاهته اللاذعة مثل هذا الحوار بين الملك شارل في منامه وأحد سكان جهنم :

شارل - كيف يجد المرء جهنم ؟

الجندي - لن تجد فيها كثيراً مما تكره يا سيدي : جوها مفرح كأنك سكران دائماً دون ان تدفع للخمر ثمناً ، وصحبة من ارق طبقة : أباطرة ، وبابوات وملوك من كل صنف . الخ .

لغة الكتاب حلوة سهلة لا تكلف فيها ولا تعقيد ، بل ان المغرب الفاضل - في أغلب الظن - لم يكلف نفسه عناء معاودة ما كتب ولعله عريبها في (الترام) معتمداً على طبع قوي وسليقة مواتية عرف بها فلم تخل - على جودتها - من بعض الهفوات التي بعضها « تطبيع » وبعضها مما عمت به البلوى وبعضها من اثر الترجمة واليك اكثر ما بلغت النظر منها :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
١٢٨٦	غيرة	غيري أو غيور	٦٢	أعطيت قيادة	أعطيت الفتاة
و	لحرق	لا حراقي = (٨٨ و ٩١)		الجيش الى الفتاة	قيادة الجيش
		و ١٠٣ الخ	٧١	الداوية	المدوية
	سأحيي	سأحيا = (٢٧٥ و ٢٩٩)	٧٣	وهبت الكنيسة	وهبت للكنيسة
٦	فلما يسقط يقع	فحين يسقط يقع =		شمعدانين	شمعدانين
		فلما سقط وقع	٩١	بشيع	بشع
٨ و ٣٠	مليئة ، مليء	ملأى ملآن = (٧٢)	٩٢	فصححوا لي	فصححوا لي
		(٤٥ و ٩٩ و ٢٦٠)	١٠٢	الماتهدد . . . تقصد	حين تهدد . . . تقصد
١٩	عين الجرح	الجرح عينه	١٢٢	يدفعها اياه	يدفعها له
٢٢	أتحدثنا	أتحدثنا	١٢٦	أعداؤك	أعداؤك
٢٤	واجبك	الواجب عليك = (٨٩)	١٣٠	١٩٣١	١٤٣١
		و ٩٠ و ١٣٥ و ١٣٨ الخ)	١٣١	نفس الباب	الباب نفسه = ١٦٥
٢٨	يمنعها من الدخول	يمنعها الدخول			٢٤٣ و ٢٩٣ الخ
٣٠	رانس	ريس (تعريب)	١٣٥	يا سيدي	يا سيدي
٣٦	برغم	على رغم = (٦٤ و ١١٢)		في غنى عن	في غنى عن
		(١٥١)	١٤٥	قد يحدثنا	قد يحدث كل
٤٦	ما تفعلوه	ما تفعلونه	١٩٨	تقلبونها	تقلبونها
٥٦	لتدعوني	لتدعيني (خطاب المؤثرة)	٢١٩	فيزين	فزيين

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
٢٢٢	ذو عقول	ذوي عقول	٢٧١	لا تأتلف مع الصور	لا تأتلف هي والصور
٢٢٥	حدث به الى	حدثه على = ٣٥٩	٢٧٢	١٧٨٠	١٨٧٠
٢٤٦	الطيب التي	الطيب الذي	٢٧٥	حتى وفي	وحتى في
٢٤٧	فكل	ككل	أبرؤها	أبرئها	
٢٥٣	الرأس التي	الرأس الذي	٢٩٥	زعمها	زعمها
	صور الاكاديمية	صور الاكاديمية	٢٩٧	وهبه	وهب له
	ليس	ليست	٣٠٩	باقرارها نظام	باقرارها نظاماً
٢٥٨	كف أباهما	كف أبيها		كنسي ذو طبقات	كنسياً ذات طبقات
٢٦٢	غيرهم	غيرهن	٣٢٠	يتأرجح	يترجح
٢٦٤	١٩٢٢	١٨٢٢	٣٢١	استبدلا بنظائر	استبدل بهانظائر
٢٦٥	نابلس	نابولي	٣٤٤	انفهاماً	فهاماً
٢٦٨	نضوجها	نضجها	٣٤٦	ساعتين يضيعونها	ساعتين يضيعونهم
٢٧٠	صميدها	صميدها	٣٤٩	أعين الغير	أعين غيرها
	بتنافيان مع	بتنافيان هما و	٣٥١	يدعيه المتتورين	يدعيه المتتورون

* * *

والحجة تشكر اللجنة الكريمة والاستاذ العرب على جهودهما المخلصة

سعيد الافغالي



آراء وأنباء

نعت صيغة الجمع

— تمهد —

نشرت هذه المجلة (ص ٢٣٢ — ١٧) بحثًا لحضرة الاب انتاس الكرملي عنوانه (جمع افعل فعلاء نعتًا فعل بالضم للمذكر والمؤنث) جاء فيها « الترتيبات الغراء والجنات الفيحاء والبساتين الغناء .. هذا لا يجوز » وقال بعدئذ ان التركيب الصحيح ان يقال : (الترتيبات الغراء) و (الجنات الفيح) و (البساتين الغن) . فأعاد ماسبق له ان يورده في مقاله « لا ثقل كريات بيضاء » الذي نشرته له هذه المجلة (ص ٤٢١ — ١٣) والفرق في المقالين هذين ان شاهده الجديد من كتاب سيويه واما شاهده القديم فمن كامل المبرد وهو هو بعينه ويستنتج من ذلك انه اطلع على كتاب سيويه في هذا العهد الأخير واقرار المرء شاهد عليه . وقد سبق لي اني تقضت حكاية الوارد ذكره آنفًا في كتابي (الحجمة البيضاء في صحة نعت الجموع بفعلاء) و (الجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي) . فكان لزامًا على الاب انتاس ان يفند شواهدني قبل ان يعمد الى دعم شاهده . والآن اعود الى مناقشته فأقول

أ — تعيين موضع الخلاف

لا جدال الا وله موضع خلاف . وتعيين موضع الخلاف أمر لا بد منه . وموضع الخلاف بيننا هو : أيقال كريات بيضاء او لا ؟ فالاب ينفي وانا أثبت . ولا خلاف بيننا على ماهي صيغة جمع افعل فعلاء مثل ايض بيضاء او افعل ولا فعلاء لها كأمرد . أو فعلاء ولا افعل لها كضياء فالشاهد الذي اتى به الاب من الكامل اولاً ومن الكتاب ثانياً لا سبيل الى المحي به في جدالنا . فان كان الاب لا يعلم ذلك فهو يجهل موضع الخلاف فكيف يجادل في مالا يعلم . وان كان يعلم موضع الخلاف ويتجاهله فعم العالم المنصف هو ! ان الخلاف واقع على نعت صيغة الجمع فأنا اقول انها

تأتي بكل صفة تضمنت ضمير المؤنث المفرد وهو يقول ان صيغة الجمع تنعت بصفة تتضمن ضمير المؤنث المفرد وضمير المؤنث الجمع ولا يجوز غير ذلك . فما ذهب اليه مردود بالقياس وبالسمع معاً فالقياس والسمع في هذا الرد سواء

٢ - المجموع مؤنثة

ولما كانت الخلاف على صيغ الجمع وأي صيغة نعت تحتق لها كان لزاماً الكلام على الجمع وتعيين موضعها من الافراد والتثنية والجمع فأقول ان المجموع تعد مؤنثة فيعاد اليها الضمير الذي هو للمفرد المؤنث والضمير الذي هو للجمع المؤنث وشواهد هذين الضميرين ضمناً في اقوال المتنبى التي أورد منها ما يأتي

١ - (وأشارت بما أبيت رجال كنت اهدى منها الى الارشاد)

فالضمير في منها للمفردة المؤنثة عاد الى رجال جمع رجل للمذكر العاقل

٢ - (تظن فراخ الفتح انك زرتها بأمتها وهي العتاق الصلادم)

ففي كلامه وهي مبتدا والعتاق صيغة جمع خبر والخبر يطابق المبتدا في الافراد والتثنية والجمع ومرجع هي الى أمت وهي صيغة جمع

٣ - (كذلك اخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد)

فضمير بها راجع اما الى النساء واما الى اخلاق . واخلاق جمع خلق ونساء اما

جمع نسوة بفتح الاول كسخله وسخال وطلحة وطلاع واما اسم جمع كشرطة .

فنساء موضع خلاف فهل للاب استاس او لعضو من أعضاء المجمع الكريم الجلاء عن

حقيقة نساء . وعلى الوجهين كليهما اقول ان الضمير الذي هو للمفردة المؤنثة عائد الى

جمع او الى ماله مقام الجمع

٤ - (بصير بأخذ الحمد من كل موضع ولو خبأته بين انيابها الأسد)

فقد اعاد ضمير انيابها وهو للمفردة المؤنثة الى الاسد جمع اسد

٥ - (حسان الثني ينقش الوشي مثله اذا من في اجسامهن النواعم)

فالحسان أعاد اليهن ضمير الجمع الذي في أجسادهن لأنهن من العاقلات ولو قال

ماست وأجسادها لجاز .

٦ - (لك يا منازل في القلوب منازلُ أقفرتِ أنتِ وهنّ منك أو أهْلُ)
فخطب المنازل بأنّـ وهي ضمير للمفردة المؤنثة واعادهنّ الى المنازل وهنّ للجمع
المؤنث فنمازل قبلت الضميرين

فهذه الشواهد كافية لاثبات ان صيغة الجمع يعود اليها ضمير المفردة المؤنثة وضمير
الجمع المؤنث ما لم يكن الجمع لما هو خاص بالعاقل كالمملوك والملائكة فنقول المملوك
حكّوا والمملوك حكمت ومنه قول المتنبي
(تظلُّ ملوك الارض خاضعة لهُ تفارقه هلّكي وتلقاهُ سجداً)

فخاضعة فيها ضمير المؤنث المفرد او التاء للجمع وتفارقه فيها ضمير المؤنثة المفردة ولا
تقول المملوك حكمن او امرن

هذا ما يتبعه المسموع من كلام العرب واما النص الصريح فأورده صاحب المصباح
في ذيل معجمه وهو هذا

(قال ابو اسحاق الزجاج ، كل جمع لغير الناس سواء كان واحده مذكراً او مؤنثاً
كالابل (هذه اسم جمع) والأرّحل والبغال فانه مؤنث . وكل جمع للتكسير للناس
وسائر الحيوانات الناطق يجوز تذكيره وتأنينه مثل الرجال والمملوك والقضاة) وكلام
هذا الامام طويل لا يتسع له المقام هنا فراجع في موضعه . اذن البساتين والميازين
او الموازين والمنازل والسماحيق (جمع سماحيق) يعود اليها الضمير مفرداً وجمعاً لذلك
قال طرفة (دبوانه طبع بيروت)

(وبوم رأبنا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجف)
وقوله وهي حمراء أعاد الضمير (هي) الى سماحيق فيقال سماحيق ترب حمراء اذا

أسقط النثر وهي كما يسقط هو في مثل هذا القول : ففي شعر المتنبي
فأقبل من أصحابه وهو مرسل وعاد الى أصحابه وهو عاذل

[فيقول اقبل مرسلًا وعاد عاذلاً] ويكون بناء سماحيق الذي هو صيغة جمع كبساتين
جاء الحال منه على فعلاء وهذا احد شواهدني على نعت صيغة الجمع بفعلاء

٣ - الضمير العائد من النعت الى المنعوت

قالت النحاة ان الضمير العائد من النعت الى المنعوت يجب ان يطابقه في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع فلا يعود ضمير المفرد المذكر من نعت الى منعوت هو صيغة جمع فان عاد كان ذلك الجمع على تأويل بمفرد ومن ذلك قول زهير فأصبح يهدي فيهم من تلاككم مغانم شتى من إفسالٍ مزنم.

فان افعالاً جمع أفيل كدغار جمع صغير وجاء نعتها بزنم الحامل الضمير الذي هو للمفرد المذكر وذلك على تأويل الافال بالمفرد

٤ - بماذا تنعت صيغ الجموع

شأن صيغ الجموع في قبولها النعت شأن الابنية المفردة . والمفرد يأتي نعتة جملة اسمية وجملة فعلية وبناءً مفرداً بشرط ان يكون الضمير العائد من النعت الى المنعوت يطابقه في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع .

فلنا ان نقول : عندنا دروع نسجتها التبابعة والتبابعة نسجتها وينير بريقها الظلام او ويريقها ينير الظلام فكل تعبير من هذه التعابير صحيح . والضمير العائد من هذه الجمل هو ضمير المفردة المؤنثة . وفي الغناء من البساتين الغناء ذلك الضمير عينه فاذا صح ان يجيء الضمير الذي تتحمله صفة النعت التي هي جملة « هي » صح ان يتحمل البناء المفرد ذلك الضمير أيضاً وان لم يصح ان تكون « هي » رابطة للبناء المفرد الوارد نعتاً بالمنعوت الذي هو صيغة الجمع فلا تصح ان تكون هي رابطة للجملة بالمنعوت الذي هو صيغة جمع .

ولا يجهل ذو مسكة في النحو ان المفرد اصل في الحال وان الجملة اتت عوضاً عنه وان الجملة تؤول بالمفرد لتأخذ محله في الاعراب فكيف يكون الفرع اقوى من الأصل فيقال دروع نسجتهن التبابعة ونسجتها التبابعة ولا يقال بساتين غناء وبساتين غن بل يقال بساتين غن ولا يجوز غير ذلك . وقد قال المتنبي

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت انتِ وهنّ منك أو اهل

فقال أقفرتِ والضمير عائد الى منازل وقال هن والضمير عائد الى منازل ولو صح قوله ان الضمير الذي يعود الى بساتين يجب ان يكون هنّ ولا يصح هي لسقط

كثير من كلام العرب . وكل ما يعارض كلام العرب ساقط لا صحة له فتحكم
الأب أنتاس باطل

٥ - حينما يتحمل نعت صيغة الجمع ضميراً يطابق المنعوت في التذكير والتأنيث
والافراد والتثنية والجمع يكون مقبولاً ولا عبرة في صيغته اكان ذلك النعت
جملة او مفرداً وسواء كان هذا المفرد من ابنية الجموع او من ابنية الافراد .
تقدم القول ان صيغة الجمع معدودة من المفردات المؤنثة فنعت بالجملة الحاملة ضمير
المفردة المؤنثة وبكل مفرد مؤنث يتحمل ذلك الضمير فمن ذلك نعت الدروع بالمحصفة
والمحصدة والمنازل بالاولى والاخرى قال المتنبى :

(هذي منازل الاخرى نهئها فمن يمر على الاولى يسليها)

فنعت المنازل بالأخرى وبالأولى وأعاد اليها ضمير المفرد المؤنثة في نهئها ونسليها
والاولى والاخرى قال صاحب المصباح انها مفردتان وهذا يبانه عنهما « اذا نقرر
ان الاول بمعنى الواحد فالمؤنثة هي الاولى » ثم قال « وتقدم ان الآخر بمعنى
الواحد فان الاخرى بمعنى الواحدة » والذي اجاز نعت المنازل بالاولى والاخرى
تحملها الضمير الذي هو « هي » وبحسب قاعدة الكرملي لا يجوز نعت المنازل بالاخرى
ولا بالاولى وان يقال نهئهن لا نهئها والأول او الأوائل لا الأولى

٦ - التاء الواردة في الدروع المحصدة والتاء الواردة في الدرع المحصدة :

الدرع مؤنثة وتذكر يقال درع ذائل ودرع ذائلة . ودرع حصداء ودرع
محصدة . وجاءت صفة الدروع على محصدة فيقال دروع محصدة
فاصل الاب انتاس عن تاء دروع محصدة هي تاء درع (الواحدة) محصدة
أو تاء أخرى

ان قال هي هي فتاء درع محصدة للافراد وتاء دروع محصدة أيضاً للافراد أي
ان القائل انزل الجميع منزلة المفرد كما تقدم الشاهد في انزال افعال منزلة المفرد
وحينئذ لا مانع من ان يقال « دروع حصداء » لأن الجمع اعتبر مفرداً فأعطي
ما يعطى المفرد ومتى صح دروع حصداء صح بساتين غناء

وان قال تاء دروع محصدة للجمع وتاء درع محصدة للأفراد فالصورة واحدة
ولكل منهما معنى مستقل - ان قال ذلك قلت : الرماح السمهرية في قول المتنبي
وخلى الرماح السمهرية صاغراً لأدرب منه في الطعان وأحذق
من باب نعت الجمع بجمع فالسمهرية في قوله
وبساتينك الجياد وما تحل من سمهرية سمراء
هي صيغة جمع وجاء نعتها على فعلاء . فسواء كانت التاء للمفرد او للجمع جاء
نعتها على صيغة فعلاء اذن يقال دروع حصداء
٧ - السماع يؤيد القياس في هذا الشأن
هذه الأدلة كلها من باب القياس . والسماع يؤيد القياس في هذا الشأن . فن
السماع قول طرفه المتقدم آنفاً
« ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجف »
ومن ذلك قول الفند الزماني معاصر المهلهل التغلبي
بقيت بعده الجليسة تبكي والحدود العيطاء تدعو لحاحا
هكذا جاء في روضة الادب (ص ١٨٥) وشعراء النصرانية (ص ٢٤٣)
وورد في كتب النخاعة كشروح ألفية ابن مالك وفي المعاجم كلقاموس والتاج
جاءوا الجاء الغفير أي يقال جاء العلماء الجاء الغفير فالجاء حال من العلماء
والعلماء يعود اليهم ضمير المفردة المؤنثة تقول العلماء قررت كما تقول العلماء قرروا
فجاءت الحال من علماء على زنة فعلاء واحكام الحال وأحكام النعت واحدة
وفي شرح الزوزني القاضي قول الحارث الشكري « وله فارسية خضراء » يقول :
« وله دروع فارسية خضراء » فدروع منعوت وفارسية اما نعت اول واما عطف بيان
وخضراء نعت دروع اما نعت ثان واما نعت اول
فهذه اربعة شواهد تؤيد ان فعلاء تأتي نعتاً لصيغة لاخلاف في انها صيغة جمع .
هذا المقصود من هذا المقال

اربع ظاهراً غير الله

نغب . من مآهل الادب .

استأهل - تستعمل بمعنى استوجب واستحق وقد انكر هذا الاستعمال المازني والجمهوري واقره صاحب القاموس وغيره قال الزمخدري في الأساس ' هو مستأهل لكذا : سمعت اهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعا) وقال الأزهري : (خطأ بعضهم من بقوله واما انا فلا انكره ولا اخطي . من قاله : لا في سمعت أعرابيا فصيحا من بني اسد يقول لرجل شكر عنده بدا « تستأهل يا ابا حازم ما اولبت » قالها بمحضر جماعة من الأعراب فما انكروها عليه اه قول الازهري

* * *

لما خرج المؤمن الى الشام جعل يعرف على قصور بني امية وبتبع آثارهم فدخل صحفا من صحونهم . فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كله . وفيه بركة ماء . يدخلها ويخرج من عينه نصب اليها . وفي البركة مسك . وبين يديها بستان . على اربعة زوايا اربع سروات . كأنها قصت بمقراض من انتفاها . احسن ما ترى العين من السروات قط قداً وقدرآ . فاستحسن المؤمن ما رأى . وأعجب به .

* * *

جاء في التاج في تفسير كلمة الخُرُوط انه الذي يتخرط في الامور جهلاً ومعنى يتخرط بركب رأسه فيها من غير علم ولا معرفة : فتراه يتهور في كل ما يريد كالفرس الخُرُوط الذي يمضي على وجهه شاردآ . ومنه حديث علي رضي الله عنه انه اتاه قوم برجل وشكوه قائلين : ان هذا الرجل يؤمنا في صلاتنا ونحن له كارهون . فقال له علي « انك الخُرُوط !! اتوم قوماً وهم لك كارهون ؟ ! » انتهى كلام التاج فليحذر اذن من يتولى اسراً من امور الناس وهم كارهون اه غير راضين عن ولايته . والا حقت عليه كلمة سيدنا علي وصح اطلاق وصف الخُرُوط عليه

* * *

فراسة المرأة حسن تديرها لامور بينها وهي مفرسة . قالوا والنون في فراسة زائدة : يربدون ان الكلمة عربية وانها مشتقة من انفراسة والنروسة ومعناها المحذق بأمر الخيل . ولما زادوا النون خص المعنى بالمحذق في ادارة المنزل . ومن الوهم ان تقول ان النون في الفراسة اصلية بناء على اشتقاقها من كلمة (فرنسا) لكن اتفق ان تكون المرأة الفرنسية مفرسة اي مشهورة بالمحذق في تدير شؤون بينها **Menagère** وقد فرس معجم الفرائد الدرية الفرنسية العربية بقوله : **Bonne administration de la femme**

* * *

اسرت قبيلة مزينة ثابتا وهو ابو حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ولما اراد ان يفدي نفسه ابوا الا ان يأخذوا فديته تيسا . يربدون امنهاته . وانف هو من ذلك . ولما طال الامر وضاق صدر ثابت ارسل الى قومه الخزرج « افدوا اخاكم بأخيهم » !! فأرسلوا اليه تيسا . فسيدنا حسان اذن جرى على عرقه في صنعة الشعر

* * *

قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ولكل اجل كتاب مانصه الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاقوات فلعل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم اه والمعنى ان الشرائع المتعلقة بمصالح البشر تختلف باختلاف الاعصار ولا جرم ان الاعصار غير ثابتة . فكذلك الشرائع المتعلقة بالمصالح يتحتم ان تكون متغيرة غير ثابتة . وهذا معنى ماورد في الاثر تحذرون ومجدث لكم

(المغربي)

— ٤٧٩ —

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد السابع عشر

	الصفحة
في سبيل العربية للأستاذ محمد كرد علي	٣٨٥
صلة الجاهلية بالعالم القديم الشيخ فؤاد الخطيب .	٣٩٢
الترادف شفيق جبيري	٤٠٨
نظرة في مجلة مجمع فؤاد الاول للأمير مصطفى الشهابي . .	٤١٢
كلمة الاشتمام للاستاذ سليم الجندي	٤١٩
ردنا على المقال السابق عبد القادر المغربي	٤٢٨
نصاب الاحتساب كور كيس عواد	٤٣٣
صفحة من التاريخ الشامي لم يدون اكثرها سليمان ظاهر	٤٤٥
جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة) بتحقيق المستشرق الانكليزي المرحوم للقاضي التنوخي الأستاذ د . س . مرجليوث	٤٥١

مخطوطات ومطبوعات

نخب الذخائر في احوال الجواهر للأستاذ محمد كرد علي	٤٦٣
تاريخ ابن الفرات م . ك	٤٦٣
تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني	٤٦٤
ابو العلاء	٦٦٥
تراجم اعيان القرن الثالث عشر	٤٦٦
كيلة ودمنة خليل مردم بك	٤٦٦
جان درك سعيد الأفغاني	٤٦٨

آراء وأبناء

نعت صيغة الجمع للاستاذ امين ظاهر خير الله	٤٧٣
'نقب' من مناهل الأدب عبد القادر المغربي	٤٧٩